المكتبة العامة لندوة العلماء
« مكتبة العلامة شبلي النعماني »
ندوة العلماء - لكهنؤ، الهند

نمبر	نام کتاب	نام مصنف
۱۰۱۷۱ ۱۷۸۸۹۹	تشریح البعث الإسلامی	مولانا سعد الرحمٰن الاعظمی الندوی
فن جرائد	سنہ ۲۰۱۰ء	دستخط

مؤسسة الصحافة والنشر

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد: ٥٦

السادس والخمسون

شعبان - رمضان ١٤٣١هـ

أغسطس - سبتمبر ٢٠١٠م

العدد الأول :

البعث الإسلامي

مجلة اسلامية شهرية جامعة

- الأقصى...مهدد بعمليات الهدم البطيئ !
- جريمة جديدة بعد جرائم عديدة ضد الإنسانية
- العالم الإسلامي يبحث عن شخصيته
- بناء الأمة المسلمة الواحدة !
- توجيهات للشباب : حق الوالدين
- من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأخلاق
- الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ- الهند

Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)

Fax : 0091-522-2741221,2741231, e-mail : theal-baas@nadwatululama.org

١٧١-١
١٧٨٨٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

خزينة الكتب
ندوة العلماء

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني
- رحمه الله تعالى -
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

العدد الأول

المجلد السادس والخمسون

شعبان - رمضان ١٤٣١هـ

أغسطس - سبتمبر ٢٠١٠م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، وحاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي

واضح رشيد الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند) الفاكس : ٢٧٤١٢٣١-٢٧٤١٢٢١-٠٥٢٢

موبائل : ٩٤١٥٥٤٦٨٨٢-٩٨٣٩٩١١٤٧٠-٠٠٩١

ALBAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW Pin : 226 007-04 U.P (INDIA) e-mail : nadwa@sancharnet.in

Fax: 0522-2741221/2741231

Mobile: 0091-9839911470/9415546882

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عمليا، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

في الهند

ثلاث مائة روبية ٣٠٠/٠٠
ثمن النسخة: ٣٠/٠٠ روبية

في العالم العربي
وفي جميع دول العالم:

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي
أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:
باسم "البعث الإسلامي"

(AL-BAAS-EL-ISLAMI
A/C 10863759846 (SBI LKO. MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ص ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT.
P.O. BOX 93, LUCKNOW- 226007- U.P. (INDIA)

محتويات العدد

الافتتاحية :

الأقصى ... مهدد بعمليات الهدم البطيئ ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

العالم الإسلامي يبحث عن شخصيته — فضيلة الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله) — ٨

بناء الأمة المسلمة الواحدة ! — الأستاذ الدكتور عدنان علي رضا النحوي — ١٢

توجيهات للشباب : حق الوالدين — الأستاذ الدكتور محمد بن سعد الشويعر — ٢٢

الدعوة الإسلامية :

من وصايا رسول الله ﷺ في الأخلاق — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٢٩

من البدهيات في القرآن الكريم — الأستاذ محمد عارف جميل المباركفوري — ٣٦

دعاوي المستشرقين الباطلة ضد الفلسفة الإسلامية العربيةوالدفاع عن أصالتها — الأستاذ صلاح الدين محمد شمس الدين الندوي الأزهري — ٤٥

مبادئ تعاليم القرآن الخلقية — الأستاذ الدكتور محمد محامد حسين الندوي — ٥١

من نافذة التاريخ الإسلامي المشرق :

الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه — معالي الدكتور راشد عبد الله الفرحان — ٦٠

دراسات وأبحاث :

واقع اللغة العربية في العصر الحديث — الأستاذ الدكتور محمد السيد علي بلاسي — ٦٥

العلامة السيد سليمان الندوي أديباً وشاعراً — إعداد : الدكتور محمد قطب الدين الندوي — ٧١

الفقه الإسلامي :

أقضية الطلاق من محاكم البلدان غير المسلمة — الأستاذ خالد سيف الله الرحماني — ٨٥

صور وأوضاع :

جريمة جديدة بعد جرائم عديدة ضد الإنسانية — محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٩٦

إلى رحمة الله تعالى :

والدة الأستاذ محمد هارون الندوي الإندوري في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٩

الأستاذ مشير أحمد الوراق في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ١٠٠

رئيس التحرير سماحة الشيخ سعيد الرحمن الندوي

الافتتاحية :

الأقصى ... مهدد بعمليات الهدم البطيئ !

ما كاد يفيق العالم الإسلامي من إصابات جروح الاعتداء الصارخ الذي أنجزه الكيان الصهيوني على أسطول الحرية الذي تولت توجيهه الحكومة التركية محمولا بالمواد الغذائية للأمة الفلسطينية للحاصرة في الضفة الغربية لمدينة غزة ، ولكن الأسطول المسكين فوجئ باعتداء كبير قام به العدو الصهيوني ، ذهب ضحيته أرواح بريئة ممن كانوا يحرسون الأسطول ويراقبونه من رجال تركيا الغيارى لكي لا يقع فريسة أي هجوم أو عدوان وتصل محمولاته إلى غزة وأهلها ، العائشين في حصار شديد هدد حياتهم بالفناء مالم يخضعوا تحت أوامر إسرائيل ويستسلموا لها عجزاً ويأساً من كل إغاثة أو أمداد خارجية .

كان العالم كله شرقاً وغرباً يعيش آلاماً وأحزاناً لا أرجاء لها من أجل هذه الوقاحة النادرة وبالتالي نقض قوانين الحقوق الإنسانية العالمية علناً وجهاراً وكان يحتج ضد الاعتداء الظالم على وسائل النجدة الإنسانية من غير مبرر شرعي ، إذ فاجأت الأنباء بهجمات شرسة على المسجد الأقصى واقتحام عدد كبير من الصهاينة الأنجاس في داخل المسجد الأقصى المبارك بحماية من الجنود الإسرائيليين ، قصد الاستيلاء على الأقصى ، وهدمه من الجزء الداخلي ، خاصة إذا كانت للحاولات الخارجية وإجراء الحفريات حوله وبناء السراديب تحته وتفريغ ما تحت المسجد المبارك من القواعد الحجرية وشحناته من التراب والحصيات ، لم

تسفر عن نتائج مرجوة لدى العدو ، وما زال هدم المسجد الأقصى حلماً لما يتحقق حسب مزاعمه وخابت آماله وأعقب ذلك له حسرة ملأت قلبه ، وأوحت إليه أن يحاصر القدس من جميع النواحي ويعمرها باليهود وببناء مستوطنات لا يقل عددها من ألف وست مأة مستوطنة ، وبذلك يتم تهويد القدس والمسجد الأقصى وإخراج الساكنين المسلمين منها وتشريدهم إلى خارج القدس حتى يتيهوا في الأرض ولا يجدوا ملجأ يأوون إليه .

ولما انهزم الكيان الصهيوني في الحرب التي شنها على غزة في العام المنصرم ابتداءً من ٢٧/ديسمبر ٢٠٠٨ إلى ١٨/يناير ٢٠٠٩ واستمرت ثلاثة أسابيع ، وكان يرجو العدو الصهيوني أن تكون هي حرباً نهائية تدفن أهل غزة تحت ركامات النسف الجوي ، والقنابل الكيمائية والجراثيمية ، ورغم استنكار شديد لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة وحتى الولايات المتحدة ، لم يتوقف العدو عن العدوان لحظة واحدة وظلت تمطر القنابل والصواريخ السامة على غزة ، ذهب ضحيتها عدد كبير من مسلمي غزة ، رجالا ونساء وشباباً وشيوخاً وأطفالا صغاراً ، ثم إن الله تعالى ألهم في قلوب مسلمي غزة وشبابها أن لا ييأسوا من أجل ذلك ولا يكفوا مقاومة العدو ببطولة إيمانية ، ورغم أن المسلمين كانوا قليلي الوسائل والإمكانيات ، ولكنهم صمدوا في وجه العدو بالثبات وقوة الإيمان ، سائلين الله عز وجل الانتصار والغلبة عليه ، واستجاب الله دعاءهم وهزم جند الحقد والظلم والعدوان هزيمة منقطعة النظير، وكان الفتح للمسلمين ولاذ العدو بالفرار ، ولكنه صمم على الاستيلاء على المسجد الأقصى المبارك .

وقد أفادت وكالات الأنباء بتهجم فجائي جديد على المسجد الأقصى المبارك في بدء الأسبوع الثاني من شهر يونيو لعام ٢٠١٠م وذلك تحقيقاً للنوايا الخبيثة التي تكمن في هدم الأقصى المبارك ، فقد دخل الصهاينة إجبارياً ، لابسين أحذيتهم النجسة ، وحاملين أسلحتهم قتلا لمن يعارضهم من المسلمين ، وقاموا بأداء مراسيمهم اليهودية ، ولم يحدث ما حدث اليوم إلا إيذانا بهدم الأقصى وتهويد القدس وبناء الهيكل السليماني المزعوم في مكان المسجد ، فقد كانت النصارى هدمت ذلك الهيكل أيام استيلائهم على القدس ، إثارة للفتنة وقطعاً للرباط المقدس بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، وما يختفى فيه من آيات الله البينات ، **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** .

وسوف لا ينسى التاريخ أن الصهاينة اقتحموا المسجد الأقصى يوم ٢٨/ من شهر سبتمبر ٢٠٠٩م تحت خطة مدبرة مرسومة من ذي قبل ، وبدأوا يؤدون فيه مراسيم العبادة اليهودية ، وكانت قد ثارت جماعة من المسلمين الغيارى على هذه العملية النجسة ، فهاجم الشرطة الإسرائيلية على هؤلاء المسلمين ، الأمر الذي أدى إلى إصابة ١٣/ مسلماً على أقل تقدير ، ولا تزال المخططات الصهيونية تتعاود حيناً لآخر لتحقيق ما يراد من سحق الفسلسطينيين والاستيلاء الكامل على الأراضي والمقدسات الإسلامية بحرية كاملة ، من دون عائق ما .

وجاء فيما أعده منير حسن منير من تقرير حول الأخطار التي تحدق بالأقصى والقدس ، نُشر في مجلة "الرابطة" التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي بعنوان "الأقصى في خطر حقيقي" يقول :

"الأقصى في خطر .. إنه معرض للانهيار عند أول هزة طبيعية أو مفتعلة .. إسرائيل ماضية وبإصرار في تنفيذ مخططاتها الرامية لهدم المسجد وبناء هيكلها المزعوم .. هذا ما قاله المهندس "رائف نجم" نائب رئيس لجنة إعمار المسجد الأقصى وقبة الصخرة .

تلك صيحة تحذير انطلقت أمام آليات لا تصمت أنيابها عن الهدم والإزالة وحفريات لا تعرف لغة السكوت ، وصدحت حروف الإنذار ، وبشدة من خطورة ما يتهدد المسجد الأقصى من هدم وشيك وضياع ومؤامرات إسرائيلية تحاك على مدار الساعة للنيل من قدسيته وهويته .

ومع توالي أرقام وإحصائيات التحذير من حفريات الاحتلال تحت أساسات المسجد الأقصى وحوله أعرب مختصون ومهتمون بشئون الأقصى عن خشيتهم من اقتراب لحظة تنفيذ المخطط الإسرائيلي ، ويوضح الأمر بجلاء قائلا : إن الحفريات باتت تشكل خطراً كبيراً على المسجد الأقصى ، وستعرّضه عند أول هزة أرضية طبيعية أو مفتعلة إلى الانهيار .

وأوضح "نجم" أن وتيرة الحفريات والتسارع في تنفيذها ارتفعت منذ مطلع القرن الحادي والعشرين ، وهي تنذر الآن بعواقب وخيمة لا يجوز السكوت عليها ، لافتا إلى أن الهدف من وراء هذه الحفريات هو التنقيب عن آثار هيكل سليمان المزعوم .

وحذر من أن عدد هذه الحفريات فاق الستين ، وأخطرها النفق الغربي الموازي لحائط المسجد الأقصى الغربي بطول يزيد على نصف كيلو متر، وأن بعض أجزاء هذا النفق مكون من طابقين ، وفيه غرف سفلية ، حوّل الإسرائيليون الجزء الأموي منه إلى كنيس يصلون فيه باستمرار ، كما وضعوا فيه مجسمات خرافية يشرحون

عليها للسياح تاريخهم المزور ، وكيف سيزيلون مبنى المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة ، وسيضعون مكانهما مبنى الهيكل المزعوم .

وفي حديث خاص لموقع "إسلام أون لائن" قال الدكتور صالح الرقب ، الخبير في شئون الأقصى : إن مسلسل الحفريات الإسرائيلية مخطط يجري على قدم وساق من أجل هدم المسجد الأقصى ، وأكد أن الفراغات الحاصلة اليوم تحت المسجد وأساساته الهشة وتفريغ الأتربة وإذابة الصخور بمواد كيماوية تنذر بأن الأقصى في خطر حقيقي ، ومعرض بالفعل للانهيار الجزئي .

وبنبرات التحذير أضاف : إسرائيل ومن خلال أكثر من عرض تلفزيوني والعديد من المقالات تحدثت عن أن المسجد الأقصى قد يتعرض للهدم بفعل هزة أرضية" .

إن هذا التقرير يفيد أكثر مما يطلع عليه الناس من عمليات خبيثة تقوم بها وتنجزها الصهاينة نحو الأقصى المبارك والقدس المقدسة ، متعدية كل الحدود الإنسانية ، وضاربة جميع القوانين الدولية عرض الحائط .

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ * وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ (غافر الآيتان/١٩ — ٢٠) .

فما أحوجنا - نحن المسلمين - في فلسطين وفي العالم كله إلى الاعتماد على القوة الإيمانية الخالصة والثقة بالنصر بمشيئة الله تعالى **﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾** **﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾** .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣١/٠٦/٢٩هـ

٢٠١٠/٠٦/١٠م

التوجيه الإسلامي :

العالم الإسلامي يبحث عن شخصيته

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله)

للمعسكر الغربي الرأسمالي شخصية دينية وسياسية واجتماعية يعرفها الجميع ، والمعسكر الروسي شخصية أخرى مميزة واضحة الأهداف والمعالم ، وللمعسكر الصيني الشعبي شخصية ثالثة يخاف منها المعسكران ، فهل للمعسكر الإسلامي أو للعالم الإسلامي شخصية دينية وسياسية واجتماعية ، يعرفها الجميع ؟ شخصية واضحة الأهداف والمعالم ، بارزة الشعارات والشارات ؟ كلا ! فالأمر عندنا يختلف عن هذه المعسكرات المتنافسة ، والكتلات المعاصرة كل الاختلاف ؟ فإن شخصيتنا في الوقت الحاضر شخصية موزعة مبعثرة فيها شركاء متشاكسون ، شخصية مائعة تميل تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك ، لا تتمسك بدينها فتنتصر ، ولا تنساق مع الغرب المادي كل الانسياق فتطمئن ، لا تقتنع بما عندها من عقيدة وإيمان ، ومنهج وسلوك كل الاقتناع ، ولا ترضى بما عند المعسكرات الأخرى من كفر وإلحاد ، وعبث وفساد كل الرضا ، وتحاول التوفيق بين تراثها القديم وبين العالم الجديد ، من غير أن تثق بالأول كبير ثقة ، أو تعرف الآخر عميق معرفة ، فتجمع بذلك بين جهلين ، جهل بتراثها وجهل بعالمها ، ولو قدرت دينها ، وعقيدتها وتراثها حق القدر ، وعرفت عالمها المعاصر بمشكلاته وأزماته ، وفقره وإفلاسه ، وبؤسه وحرمانه كل المعرفة لفازت بالحسنيين ، فالحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها .

وأصبح مبلغ هذه الشخصية الإسلامية من رسالتها السامية وعلمها النافع للإنسانية ، الهادي للبشرية ، كلمات في كتاب أو هتافات في خطاب ، أو تسبيحات بين المنبر والمحراب ، أما خارج هذه النواحي الثلاث فلا تجد هناك إلا شخصية فرنسية

أو إيطالية أو صينية .

شخصية واعظ ديني ومصلح اجتماعي إذ رأيتها على المنبر، وشخصية تاجر إيطالي أو خبير هولندي إذ رأيتها في البيت أو المكتب أو الديوان .

لا تؤاخذوني أيها السادة ! فهي قصة المسلمين جميعاً ، سواء كانوا في باكستان ، أو تركيا أو المغرب الإسلامي ، فالعلماء — رحمهم الله — لهم شخصية مزدوجة ، شخصية الخطيب حين يصعد المنبر، وشخصية الموظف حين يقبض الراتب ، والساسة لهم شخصية مزدوجة شخصية ابن البلد والمواطن الأول والمناضل البطل حين يواجه الجماهير بكلام فارغ ، وشخصية السياسي الشاطر حين يساوم في عرض البلد وكرامة الوطن ، بل يبيع بلاده أحياناً في المزاد العلني ، والتجار لهم شخصية مزدوجة ، شخصية الرجل الوادع الرقيق القلب ، وطني النزعة ، إسلامي العاطفة ، حين يمد يده بأكياس الجنيهات لبناء المساجد والرباطات ، وشخصية التاجر القاسي الذي لا يبالي بشيوع الخمر بين الفتيات ، أو ازدياد عدد المدمنين والمدمنات ، وتخبط الشباب في حيرة البطالة والسآمة والضياع ، إذا كان ذلك باعثاً على تضخم ميزانيته ، وازدياد وارده وصادره .

إن شخصيتنا شخصية مستعارة ، استوردناها من الغرب كما استوردنا الغسالات والأدوات المنزلية ، وهي شخصية ملونة تجمع بين المزاج الفرنسي ، والطابع الأمريكي ، والسمة الإنجليزية ، والسلوك الروسي ، وطغت هذه الأنواع والألوان على لونه الإسلامي ، وقضت عليه في بعض الأحيان .

فما هي هذه الشخصية الإسلامية ؟ لندع الحكم في هذا الأمر للقرآن حتى لا يكون هذا الأمر مثار شبهة أو موضوع مناقشة وجدال .

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر الآية/٢٩) .

انظر كيف يبت القرآن في هذه المشكلة بالقول الفصل والحق الواضح المبين "رجلاً سلماً لرجل".

إذاً فتلك هي سمة الشخصية الإسلامية، وطابعها البارز الشاخص الحي، الذي تكاد تلمسه بالبنان قبل أن تحسه بالوجدان، وما أروع البيان وأبلغ التشبيه حين تبدو حقيقة نابضة يراها كل واحد، ولو لم يبلغ رتبة العلماء.

ويشرح القرآن هذه الناحية في موضوع آخر، فكأنه يفسر الآية المذكورة تفسيراً، ويزيد الإجمال إيضاحاً وبياناً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة الآية/٢٠٨).

والآن انحلت العقدة، وتذللت العقبة، وظهرت المعجزة تملي إرادتها على من يؤمن ومن لا يؤمن!

الشخصية الإسلامية إذاً شخصية أصيلة، مستقلة الخيال والوجدان والعمل والتنفيذ، تؤثر ولا تتأثر، تغلب ولا تغلب، تعلو ولا يعلى عليها.

إذا تقلدها أحد تقلدها لآخر أيام حياته، بل لآخر ساعاته وأنفاسه، إذا قسنا باعتبار الزمان، وتقلدها في بيته، ومنزله وديوانه ومتجره، وعرشه وتاجه، ورئاسته وفخامته، إذا قسنا باعتبار المكان.

فهي شخصية واحدة متميزة تجدها متحمسة نشيطة في السوق أو النادي كما تجدها قائمة راكعة في زاوية من زوايا المسجد، أو ساجدة خاشعة تحت جناح الليل، وانظر ما كان جواب القوم حين سألهم هرقل، وقد دهش بانتصارات المسلمين المتتابعة عن سيرتهم وأخلاقهم، فقد قالوا: "إنهم رهبان بالليل وفرسان بالنهار".

شخصية اختلفت ميادينها وصورها وأشكالها، واتحدت نيتها، وحقيقتها وغاياتها وأهدافها، فالعاطفة التي تحثها على النضال والقتال في أطراف النهار هي نفس العاطفة التي تحثها على الدعاء والمناجاة، والتضرع والابتهال، آناء الليل.

والعاطفة التي تحثها على الإعداد الصناعي والتنظيم الحربي والاستعانة بالتقنية والعلم هي نفس العاطفة التي تحثها على إصلاح ما بينه وبين ربه، فهي غاية الغايات، وسر الوجود، وأصل الحياة.

إنها ليست شخصية المعتكف في المسجد، القانع بما عنده وعند غيره من متاع الدين والعلم والتقوى، الجاهل بتيار الحياة وسيلها العنيف وأمواجها الزاخرة الهادرة، إنها شخصية العالم والمجاهد، والعابد الزاهد، والبطل والفارس، والحاكم والمسئول، والقائد والمعلم، الزاهد فيما عند الناس من متاع، والحريص على الهداية والتقوى، فإذا توجه إلى أسباب التجارة ووسائل الحياة النافعة — لا الاستقراطية الضارة — لم يتوجه إليها إلا بدافع الدين، ومصلحة الإسلام والمسلمين، كما توجه إليها عدد من أغنياء الصحابة، فكانوا سبب قوة الإسلام وشوكته.

إننا لا ندعو إلى هجر مرافق الحياة أو ترك استعمالها فلا تزال الحاجة ماسة إلى العناية الزائدة ببعض نواحيها الهامة، ولا نعارض الأخذ بالأسباب، فنصيبنا فيه ضئيل حقير لا يفي بحاجات الزمن المتطورة ووسائله المتغيرة، وإنما ندعو إلى تكوين شخصية إسلامية قوية بارزة تتجلى في دوائر الحكم كما تتجلى في دور العبادة، تتجلى في البرلمان، كما تتجلى في المسجد، وتتجلى في أوساط التربية وأجهزة الإعلام كما تتجلى في كلام الواعظين، وجهاد المصلحين وجهود الدعاة والعاملين.

وحينئذ يكون العالم الإسلامي كله كتلة واحدة ذات شخصية إسلامية مستقلة، لا يصنع مؤسسة، ولا يقيم إدارة، ولا يقف موقفاً إلا وهو وفيٌّ بمبدئه، حريص على شخصيته، محافظ على سماته وملامحه، متمسك بأهدافه وغاياته، مسلم في السلم والحرب، مسلم في الغنى والفقر، مسلم في الحكم والإدارة، مسلم في الإعلام والتربية، مسلم في الصناعة والعلم، مسلم في السياحة والفن.

***

بناء الأمة المسلمة الواحدة !

بقلم : سعادة الأستاذ الدكتور عدنان علي رضا النحوي

ومن أجل لقاء المؤمنين الصادقين وبناء الأمة المسلمة الواحدة ، ومن أجل العهد مع الله والعبادة والأمانة والخلافة والعمارة التي خلق الإنسان للوفاء بها في الحياة الدنيا ، فإننا نذكّر بأنه :

☆ "يجب أن نتعاون فيما أمر الله أن نتعاون فيه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما أذن الله أن نختلف فيه" .

ومن أجل ألا ندعي الخوف على الإسلام من خلال الضعف والتقصير والإقبال على الدنيا ، والاحتماء خلف الشعارات وحدها ، فإننا نذكر أنفسنا والدعاة والمسلمين والناس فنقول :

☆ أيها الناس ! أيها المسلمون ! أيها الدعاة ! كما تظهرون الخوف على الإسلام ، مع أن للإسلام رباً سينصره بجنود ينصرون الله ربهم ويوفون بعهدهم معه ، فخافوا على أنفسكم حين تقفون بين يدي الله ، يسألكم عما فعلتم في الحياة الدنيا ، وهل نصرتم الله كما أمركم وتجنبتم الفتن التي نهاكم عنها ، والصراع والشقاق وتنافس الدنيا ؟! خافوا على أنفسكم كما تخافون على الإسلام .

ومن أجل الاستقامة على الصراط المستقيم ، ومعرفة الدرب الذي يقود إلى الأهداف ، نذكر ونقول :

☆ إذا غاب النهج والتخطيط على أساس الإيمان والتوحيد والمنهاج الرباني في واقع أي أمة ، فلا يبقى لديها إلا الشعارات تضج بها ولا تجد لها رصيداً في الواقع إلا مرارة الهزائم وتناقض

الجهود واضطراب الخطأ ، ثم الشقاق والصراع وتنافس الدنيا في الميدان ، ثم الخدر يسري في العروق ، ثم الشلل ، ثم الاستلام !

ومن أجل تأكيد أهمية النهج والتخطيط في الواقع نذكر بسنة من سنن الله ونقول :

☆ إذا التقى فريقان : فريق له نهجه وخطته ، فعرف بذلك دربه ومراحله وأهدافه ، فنهض وصدق عزمه لها ، وفريق لا نهج له ولا خطة إلا الشعارات يدوي بها ، فإن الفريق الأول بنهجه وتخطيطه يستطيع أن يحول جهود الفريق الثاني لصالحه ، فيجني النصر ، ويجني الآخر الهزيمة والخسران والحسرة .

ومن أجل الاطمئنان إلى السبيل لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية فإننا نقول :

☆ إن الأهداف الربانية لا يمكن تحقيقها إلابجنود ربانيين ووسائل وأساليب ربانية ، وهذه وتلك تحتاج إلى بناء وإعداد رباني .

ونقول كذلك :

☆ من عجز عن إصلاح نفسه فهو أعجز عن إصلاح غيره أو إصلاح للمجتمع .

☆ كم من الذين ينادون بالإصلاح والتغيير هم أحوج الناس إلى الإصلاح .

☆ من سد أذنيه عن النصيحة فقد فرصة عظمية لمعرفة أخطائه ، وفرصة أعظم لمعرفة سبيل الإصلاح والعلاج ، وتعرض أكثر للمتاهة والضلال .

☆ إن الهوى لا يصلح بل يفسد ويدمر ، وإن اتباع الحق هو سبيل الإصلاح للفرد والأسرة والجماعة والأمة ، وكذلك للبشرية كلها .

☆ بين الحق والهوى باب ابتلاء وتمحيص ، من صدق الله نجا

ودخل إلى الحق ، ومن ضل هلك ودخل إلى الهوى .

☆ ليس من الحكمة أن نكتفي بإعلان مبادئ الرحمة والعفو والتسامح والسلام في الإسلام ، حين يكون مثل هذا الإعلان مظهراً من مظاهر الضعف والهوان والاستسلام أو يوحى به ، ولكن الحكمة والواجب أن نظهر تكامل الإسلام من عفو وتسامح ، ومن عقوبة وحزم ، ومن سلام وحرب ، ومن حكمة وتشريع ، ومن إيمان وتوحيد .

☆ إن المعركة مع أعداء الله تبتدئ أولاً في نفسك أيها الداعية المسلم ، فإن انتصرت بها ، فيمكن الانتقال إلى جولة بعد جولة ! وإن هزمت بها فستهزم في سائر المعارك ! إنها معركة ممتدة مع الإنسان حتى يلقى الله .

☆ إن الله سبحانه وتعالى جعل صراطه الحق مستقيماً ، حتى لا يضل عنه أحد ، وجعله سبيلا واحداً حتى لا يختلف عليه ، وجعله صراطاً مستقيماً ليجمع المؤمنين أمة واحدة وصفاً كالبنيان المرصوص ، فلماذا تاه المسلمون عنه فتفرقوا ، واختلفوا عليه فتمزقوا ، ثم ضعفوا وهانوا ؟!

☆ إن أخوة الإيمان ليست عاطفة فحسب ، ولكنها مسؤوليات وواجبات ، وحقوق والتزام ، لا تسقط حتى لو تغيرت العاطفة ، إنها رابطة المؤمنين في الأرض جميعاً ، رابطة يجب الوفاء بها ، إنها رابطة ربانية أمر الله بها المؤمنين جميعاً .

☆ وكلما توانى المؤمنون عن الوفاء بالعهد والتزام الحق والدعوة الصافية في صف واحد كالبنيان المرصوص ، أنزل الله بهم البلاء والعقاب والعذاب ، حتى يستيقظوا أو يهلكوا .

☆ لو أن المسلمين حققوا في واقعهم "أخوة الإيمان" كما أمر بها الله سبحانه وتعالى ورسوله محمد ﷺ لأنزل الله نصره عليهم ولسادوا العالم !

☆ كلمة المؤمن طيبة ، قوية ، واعية ، لا تنحرف عن الصراط

المستقيم .

إنها بركة للناس ، ونور في الحياة ، وسلاح في الميدان ، وهي أساس حرية الرأي ، وأساس النصيحة ، وقاعدة الشورى .

☆ لا فقه دون مسؤولية ، ولا مسؤولية دون فقه .

إننا نقدم هذا النهج إلى كل مسلم وأسرة ومجتمع وحركة إسلامية ، بصورة واضحة جلية ، نصيحة خالصة لوجه الله ، نرجو بها جمع كلمة المؤمن في الأرض صفاً واحداً ، كما أمر الله سبحانه وتعالى ، في لقاء صادق للمؤمنين المتقين الذين يريدون الله ورسوله والدار الآخرة يمضون على صراط مستقيم بينه الله لنا وفصله في كتابه الكريم .

ونرجو بهذا النهج وهذه النصيحة أن يعالج المسلمون مظاهر الخلل والوهن والهوان الذي نزل بهم في واقعنا اليوم ، نتيجة تفرقهم وتمزقهم ومخالفتهم أمر الله سبحانه وتعالى بأن لا يتفرقوا وأن يكونوا أمة واحدة .

وإن هذا النهج الذي ندعو إليه نابع من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، ومن مدرسة النبوة الخاتمة ، المدرسة الخالدة أبد الدهر ، مع فهم الواقع اليوم من خلال منهاج الله — قرآناً وسنة ولغة عربية — .

ويقوم هذا النهج على ثلاثة أسس :

✿ أن نذكر بما أمر به الله سبحانه وتعالى دون تحريف أو تأويل .

✿ أن نجمع ذلك على صورة خطة ونهج تناسب واقعنا اليوم .

✿ أن ندرب المسلم على التزام ذلك وتطبيقه .

ولهذا النهج أهداف ربانية ثابتة ، وأهداف مرحلية ، وهدف أكبر وأسمى وهو الجنة ورضوان الله والدار الآخرة ، فيصبح الهدف العام لهذا النهج نجاة المسلم من فتنة الدنيا ومن عذاب الآخرة ، إذا صدقت النية وصحت العزيمة ، للمساهمة في تحقيق

الأهداف الربانية التي أمرنا الله بها .

وأول ما نذكر به هو أمر الله سبحانه وتعالى في قبسات من آيات الله البينات لتبين لنا الأساس الذي ينطلق منه النهج كله :

﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف الآية/٣) .

﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام الآية/١٥٣) .

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران الآية/١٠٣) .

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران الآية/١٠٤) .

﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران الآية/١٠٥) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام الآية/١٥٩) .

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون الآية/٥٣) .

﴿إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء الآية/٩٢) .

أيها المسلم ! قف مع هذه الآيات الكريمة وتدبرها ، واخشع معها ، وانظر في حالة المسلمين اليوم ، وأين هم من هذه الآيات ؟ فهل التزموا أمر الله وانتهوا عما نهى عنه ؟!

أمر الله سبحانه وتعالى : باتباع ما أنزل إلينا من عنده ، وباتباع الصراط المستقيم ، والاعتصام بحبل الله ، وبالأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبأن يكون المسلمون أمة واحدة ، ونهى عن التفرق وتقطع الأمر بين فرق وشيع وأحزاب ، وأنذر المخالفين بعذاب عظيم .

أخي الكريم ! أيها المسلم ! إن الله سبحانه وتعالى خلقنا على فطرة سلمية ، ووهبنا القدرة على التفكير ، فأول ما نطلبه ونوصي به هو أن نفكر ، وأن نفكر التكفير الإيماني ، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالتفكير على نور وهداية بآيات كثيرة :

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ الآية/٤٦) .

وآيات أخرى .

وعند ما نتأمل في الحياة الدنيا ونفكر في أمرها تبرز لنا حقيقة ثابتة مدى الدهر كله ، ذلك أن الموت حق على كل إنسان ، وأن المصير إلى الله : موت حتى قيام الساعة ، فبعث ، فحساب ، فجنة أو نار ، هذه حقيقة بينتها لنا رسالات الأنبياء جميعهم الذين أتوا كلهم بدين واحد هو الإسلام ، والذين ختموا بمحمد ﷺ ، وبينتها لنا سنة الله في الحياة الدنيا :

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران الآية/١٨٥) .

وتتوالى الآيات والأحاديث لتذكر بهذه الحقيقة الثابتة التي يحتاج الإنسان إلى تذكرها والتفكير بها ، وجاء حديث رسول الله ﷺ يأمرنا بذكر الموت :

عن أنس وعن أبي هريرة رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ :

"أكثروا ذكر هاذم اللذات : الموت ، فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه ، ولا ذكره أحد في سعة من

العيش إلا ضيقه عليه" .

[رواه البيهقي في شعب الإيمان وابن حبان عن أبي هريرة ، والبزار عن أنس] (١) .

أيها المسلم ! فكر في ذلك وتأمل وانظر ! فإن الحياة الدنيا هي الفسحة الوحيدة للإنسان ليعد نفسه للقاء الله ، للموت ، وإذا وقع الموت فلا فرصة لإصلاح ولا توبة ، إلا الندامة والحسرة :

﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون الآيتان/٩٩ — ١٠٠) .

هذه خطة لا بد أن يمر بها كل إنسان ، فماذا أعددت لها أيها المسلم ! فكر أيها المسلم ! من أجل هذه اللحظة وما يتبعها في القبر والساعة والبعث والحساب .

فقد بعث الله الرسل والأنبياء ، وختمهم بمحمد ﷺ ، وأنزل معه الكتاب المبين ، القرآن الكريم ، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، ليبين للناس الصراط المستقيم ويفصله حتى يتبعوه فلا يضلوا ، وحتى ينجوا من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة .

وإذا نظرنا إلى واقع المسلمين اليوم ، نرى فيه الفرقة والتمزق ، والضعف والهوان ، والهزائم والأخطار المحدقة من كل جانب ، ونرى أن هذه الأخطار آخذه بالازدياد والامتداد ، والفرقة والتمزق معصية كبيرة وعقابها عذاب عظيم .

كل ما يتم في هذه الحياة الدنيا فإنه يتم بقضاء الله نافذ ، وقدر غالب ، وحكمة بالغة ، فما نعاني منه اليوم هو بقضاء الله وقدره ، وقضاء الله حق عادل لا يظلم أبداً ، فما يحل بنا لا يمكن أن يكون ظلماً من الله ، ولكننا نحن ظلمنا أنفسنا ، والخلل فينا ،

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : ١٢١١ .

في أنفسنا .

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس الآية/٤٤) .

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر الآية/٢٠) .

إذن الخلل في أنفسنا ، فينا نحن المسلمين ، فلا بد إذن من معالجة الخلل ، ولا بد من تحديده حتى يتيسر علاجه .

ومن هنا تنشأ قضية هامة ، ألا وهي من المسؤول عن ذلك كله ؟! كل مسلم مسؤول في ميزان الإسلام ، من هنا تبرز ما نسميه بالمسؤولية الفردية التي عليها تقوم مسؤولية الجماعة والأمة ، هذه المسؤولية الفردية حددها منهاج الله وفصلها ، ليكون كل مسلم مسؤولا ومحاسباً يوم القيامة :

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾ (مريم الآية/٩٥) .

﴿....فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق الآية/٤٥) .

إنك مسؤول أيها المسلم ، وإنك محاسب ، ولا يغرنك أن تقول لنفسك إن المسؤولين هم العلماء والدعاة وحدهم ، نعم إنهم مسؤولون ومحاسبون وإنك مسؤول ومحاسب ، ولا تنفع الندامة والحسرة يوم القيامة ! فانهض إلى مسؤوليتك أيها المسلم .

من هذا التصور انطلق هذا النهج : من منهاج الله ومن مدرسة النبوة الخاتمة ، ومن وعي الواقع من خلال منهاج الله ، ليتيسر للمسلم معرفة مسؤولياته التي سيحاسب عليها بين يدي الله ، وليبين له الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه ، وليتوافر فيه سبيل البحث عن الخلل ، وليتوافر فيه سبيل العلاج ، ولتحقيق ذلك لا بد من صدق النية وإخلاصها لله سبحانه وتعالى ، ولا بد من صدق الالتزام وصدق العزيمة .

ولا يعقل أن يتركنا الله سبحانه وتعالى دون أن يرشدنا إلى العلاج ، وهو ربنا وخالقنا ، وسيحاسبنا يوم القيامة ، فالحق إذن

أن لله سبحانه وتعالى وضع لنا العلاج والشفاء في منهاجه الرباني الذي أنزله وحيا على عبده ورسوله محمد ﷺ :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس الآية/٥٧) .

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾ (الإسراء الآية/٨٢) .

فالسؤال المهم الذي يثيره واقعنا اليوم هو : إذا كان الأمر كذلك ، والكتاب والسنة بين أيدينا ، والدعاة كثيرون ، والحركات الإسلامية كثيرة في الأرض ، والزمن امتد بالعمل طويلاً بذلت فيه الأوقات والجهود والمؤتمرات والأموال ، وضجت فيه الشعارات ، فلماذا حلت بنا الهزائم وحل بنا الهوان ، وامتد مسلسل التنازلات حتى بلغ حد التنازل عن الشعارات ؟! لماذا حل بنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر إن نحن أو فينا بعهده وصدقنا الوفاء ؟!

لا شك إذن أن في واقع المسلمين خللاً أدى إلى هذا الهوان وهذه الهزائم ، وذلك كله بقدر الله وقضائه ، والله حق لا يقضي إلا بالحق ، وقدره غالب وحكمته بالغة ، ولا يظلم أبداً ولا يظلم أحداً .

فالواجب إذن أن ننظر في أنفسنا وفي واقعنا نظرة إيمان وتمحيص على أساس من منهاج الله ، لنعرف الخلل والأخطاء فنعالجها ، دون أن يأخذنا الكبر فنصر على الخلل ، ودون أن يتحول عملنا إلى التلاوم فنفشل ولا نعالج ، ودون أن نلقي باللوم كله على أعدائنا ونبرئ أنفسنا ونسترخي ونستسلم للضياع والهوان ، لا بد من الاعتراف بالخطأ والخلل ، ولا بد من التوبة النصوح إلى الله ، ولا بد من التعاون من أجل العلاج .

ونحن ، حين نقدم هذا النهج ، لسنا حزباً جديداً في الساحة الإسلامية ، ولسنا عملاً سرياً نخفي ونعلن ، ولسنا بديلاً

عن أي حركة إسلامية ، ولكننا صرخة جديدة ونصيحة خالصة لوجه الله ، نريد إبلاغها إلى كل مسلم ليعرف مسؤولياته وحدوده ، ووسعه وطاقته ، وإلى كل حركة إسلامية ، وإلى كل أسرة وكل مجتمع ، ليعلم الجميع أن الموت حق ، وأن الساعة لاريب فيها ، وأن الحساب حق يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ، وأننا كلنا مسؤولون ومحاسبون ، فلا بد من لقاء المؤمنين المتقين على قاعدة واحدة ونهج واحد نابع من منهاج الله ومن مدرسة النبوة الخاتمة ، ملب لحاجة الواقع ، يوفر الأسس للتعاون على ميزان رباني ثابت ، فتعرف الأخطاء وتدرس وتعالج .

لا بد أن تدرك كل حركة إسلامية أنها مهما حشدت وجمعت فلن تستطيع وحدها الوقوف أمام الصف المتماسك الزاحف على العالم الإسلامي ، ولا تستطيع وحدها أن تنقذ الأمة من الخطر المحدق بها ، ما دامت الفرقة التي نهى الله عنها قائمة ، والتمزق ممتداً ، والولاءات متشعبة متنافرة ، وحبل أخوة الإيمان مقطعاً .

ولا بد أن تتكاتف الجهود كلها لتصب في مجرى واحد : هو تبليغ رسالة الله إلى الناس كافة كما أنزلت على محمد ﷺ بدلاً من أن تتمزق في نواح وتتفرق في أنشطة لا تحتل الأولوية في ميزان الله ، وبدلاً من أن تفتن أمام ضغط الواقع والتفرق ، فتنحرف عن منهاج الله وتشغل في إصدار التسويغات .

إننا إخوة لكل مسلم ، وعون صادق لكل حركة ، لا ننافس أحداً على زعامة ولا على دنيا وأهوائها وشهواتها ، ولكننا ننافس في ميدان واسع من خشية الله والإخلاص والتقوى ، ونسأل الله العون والسداد والحماية .

فمن منهاج الله ، ومن مدرسة النبوة الخاتمة ، نضع هذا النهج الذي ندعو إليه ، ليكون القاعدة التي يلتقي عليها المؤمنون صفا واحداً بإذن الله وهدايته ورحمته .

فإلى هذا النهج !

توجيهات للشباب : حق الوالدين

بقلم : الأستاذ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" – الرياض)

لقد عظم الله حق الوالدين ، وأكّد ذلك رسول الله ﷺ ، فصار حقهما أمراً واجباً ، واستجابة دينية لله ولرسوله ، يقول سبحانه : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ (الإسراء الآية/٢٣ — ٢٥) .

إن للوالدين على أبنائهما حقوقاً كبيرة ، ومكانة عظيمة ، فهما سبب وجودك أيها الشاب في الحياة ، فكم تعبا من أجلك ، وكم سهرا على راحتك ، وكم تحملا من العنت والمشقة حتى ترتاح .. لكن العاقل يتألم عند ما يقرأ في الصحف نماذج من العقوق ، فالحيوانات والعجماوات ، تألف من أعمال تبدر من بعض البشر ، وما يعمل ذلك إلا بعض الشباب الذين وقعوا في الموبقات .

وما هذا إلا من ضعف الوازع الإيماني ، فإذا خفّ ميزان الدين أيها الشاب ، فإن المرء يتبع النفس هواها ، وينفك الزمام ، فيتحمل المرء وزر هذا العمل .

فقد سلط على الشباب مغريات ، وبدأ التأثر من جلساء السوء ، حيث بدأت — يا معشر الشباب — الموازين تتغير التي بها خفّت عند أجيال هذا الزمان ، مكانة الوالدين ، وقل عندهم احترامهما ، مع أن الله سبحانه ، قد قرن الإحسان إلى الوالدين

بعبادته ، ونهى أن يبدر من الآداب ، أبسط دلائل الضجر "أفّ" أو رفع الصوت عليهما أو أحدهما "ولا تنهر هما" .

وما أكثر ما نسمع ونرى ، من نماذج العقوق ، بل معاملتهما أسوأ معاملة ، فأحذر أيها الشاب أن تكون معيناً على ذلك ، وأن تكون ولد سوء ، أو داعياً إلى السوء ضد الوالدين ، مهما بدر منهما ، وقابله بالإحسان ولين الجانب .

فقد قرأت في يوم واحد ، ثلاث جرائد من صحفنا ، كل واحدة ، بها خبر يقشعر منه الجلد ، وما كنا نتوقع أن يقدم على مثله إنسان وفي مجتمع محافظ على قيم وتعاليم الدين الإسلامي ، التي تحث على رعاية الأبوين وبرهما ، والرأفة بهما والحنو عليهما ، بعد ما أديا أدواراً كثيرة على أبنائهم ورعايتهم والاهتمام بكل ما يهمهما ، عناية طبية وحناناً قلبياً وحنوّ ومودّة .

فأنتم معاشر الشباب ، عليكم أمانة ثقيلة ، ويرجى منكم القدوة الصالحة ، بأبويكم أو أحدهما ، لأن للمجتمع ينظر بأن تكونوا دعاة خير ، ومعينين على تكوين للمجتمع الصالح ، المتحاب المترابط ، بين أبنائه : مودّة ورحمة وتآلفاً ومثالية يقتدى بها ، ففي يوم الثلاثاء ٦/ربيع الأول عام ١٤٢٠هـ ، كنت أقرأ ثلاثاً من صحفنا ، ووقع نظري في كل منها ، على خبر مؤلم هو الأسوء ألا وهو العقوق ، ونكران الجميل ، وعصيان الله بحق الوالدين .

الأول : في الصفحة الخامسة من الجزيرة : أقدم شخص اسمه الأول : أحمد ، سعودي الجنسية ، على قتل والده السعودي الجنسية باطلاق النار عليه إثر خلاف حدث بينهما ، وقد أحيل للمحكمة الشرعية ، فصدر بحقه صك شرعيّ يقضي بثبوت ما نسب إليه شرعاً ، والحكم عليه بالقتل تعزيراً ، لكون ما أقدم عليه المذكور ، يعد : جرماً عظيماً ، وإثماً كبيراً ، وشراً جسيماً ، لا سيما وأن المقتول والده ، وهو سبب وجوده في الحياة ، [إلى آخر

ما في الحيثيات التي توجب قتل هذا الإبن العاقّ ، الذي لا يندفع شره إلا بالقتل ، وقد نفذ فيه الجزاء الذي يستحقه عقاباً من الله .

الثاني : في الصفحة ١٣ من الوطن : القتل تعزيراً لقاتل والدته وخادمتها ، في نجران فقد أقدم شخص اسمه الأول : محمده على قتل والدته وخادمتها — وسماها — حيث قام بإطلاق عدة طلقات من مسدّس ، إثر خلاف بسيط نشب بينهم ، وبعد تأكده من موتهما ، قام بخلع ملابسهما وتعريتهما ، بحثاً عما كان يعتقده من سحر تخفيانه ، وبإحالته إلى المحكمة العامة ، صدر بحقه صك شرعي يقضي بثبوت ما نسب إليه شرعاً ، والحكم بقتله تعزيراً ، وصدق الحكم من محكمة التمييز ، ومن مجلس القضاء الأعلى ، بهيئته الدائمة ، وصدر أمر سام بإنفاذ ما تقرر شرعاً .

الثالث : في الصفحة ٤٦ من صحيفة الرياض ، خبر عن مغربي يقتل والدته ، بطعنات من سكين كانت بحوزته ويطعن شقيقه ، ويحرق المنزل ، بنار أشعلها في طابقين من المنزل الذي تقيم فيه أسرته ، وأحدث هلعاً في الحي ، الذي وقع فيه الحادث .

فمثل هذه الجرائم الشنيعة ، بحق الوالدين التي أخافت كل أسرة ، فما بالك أيها الشاب بما تنشره الصحف الأخرى ، ألا تدل على أن العقوق قد كثرت ، وحقوق الله قد أهدرت ، وأنها لا تصدر إلا من قلوب مات فيها الإحساس ، وضاع الإيمان ، وإذا بحث العاقل في الأسباب ، يرى أن وراء ذلك غزو مقصود به شباب ديار الإسلام ، وسلاحه المخدرات والمسكرات التي تسيطر على من يزين له تعاطيها .. فهي تذهب العقل والمال والصحة ، وهي من أخطر الأدواء الإجتماعية ، التي عرفتها البشرية ، إنها أخبار مؤلمة ، ونتائج سيئة ، تقضي على المعنويات ، وتنتهك بسببها الحرمات ، علاوة على الصحة والمال والدين .

فإذا عرفت هذه البشاعة الكبيرة ، فإنك أيها الشاب عليك أن تتبصر في مثل هذه النتائج ، التي يأتي بسبب هذه المؤثرات نماذج أخرى من العصيان والعقوق : وذلك بما طفح على السطح ، من كيفيه التخلص من الأبوين أو أحدهما عند الكبر ، بالتعاون بين الأبناء ، وحمل أحد الوالدين ، باسم مراجع المستشفى لعلاجه ، ثم يرمى بإسعاف أحد المستشفيات ، أو عند باب دار العجزة ، ثم الذهاب ليصبح مجهولاً ، لا يعرف وليه ولا من أودعه .. وقد يكون لبعض زوجات الأبناء دور في التأثير والتبرم ، وبعلل أخرى تبتكر ، فأحرص أيها الشاب ، أن تأخذ من هذه الأمور عظة وعبرة ، وأن تكون أولاً باراً بوالديك ، ممتثلاً أمر الله ورسوله ومؤثراً فيمن حولك .. وبعد زواجك اغرس في زوجتك أثر العناية بمن لديك من الوالدين ، وبث هذه الروح في الأقرب ثم الأقرب ، ومن تعاشر ، من زملاء الدراسة والعمل ، ومن المعارف والجيران ، إنها دعوة خير وافق أمر الله ورسوله .

وكن أيها الشاب نموذجاً يحتذى به ، ومؤثراً لا متأثراً بمن لا يرعون هذا الواجب ، ومنبهاً لآثار كل ما يخامر العقل ، ويميت الإحساس ، ومنوهاً بمكانة البر للوالدين ، ومشيداً بالنماذج ، التي تراها في شباب حرصوا على اهتمامهم بالوالدين ، أو أحدهما سواء كانت هذه النماذج الطيبة من البنين أو البنات ، لأن الإشادة بهم ، ومدحهم تبعث على التقليد الحسن .

فإذا كنت أيها الشاب ، صالحاً في نفسك ، فحذّر غيرك وبرقة ولطف ، عن المؤثرات التي تدعو للعقوق ، وناقش بهدوء وإقناع ، الآثار الإيجابية والسلبية ، في التعامل مع الوالدين ، وما يعود على الفرد والجماعة من آثار حسنة في حالة البر ، وسيئة في العقوق عند الناس أولاً ، وعند الله سبحانه أصلاً ، وحذّر من جلساء السوء وما يجرهم الشيطان إليه ، ليكونوا من أعوانهم .

وعلى كل شاب : أن يعرف منزلته عند الله في الجزاء ، بقدر ما أنزل به والديه ، ومكانته عند أبنائه ، بقدر ما أنزل به والديه ، ألم يخبر ﷺ : "بأن الجنة تحت أقدام الأمهات" ، وقال وهو يصعد المنبر: آمين ثلاث مرات" فلما سئل عن هذا ؟ قال "أتاني جبريل فقال : رغم أنف امرئ أدرك والديه ، أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قل آمين ؟ فقلت آمين" ، ثم ذكر بقية الثلاثة .

فالشباب : ذكوراً وإناثاً ، مدعوون للتحصن في أحاديث رسول الله ﷺ ، ووصاياه بالوالدين ، التي هي توضيحاً وتمكيناً ، للتوصيات الكريمات ، بحق الوالدين في القرآن الكريم ، وبرهما والإحسان إليهما في عشرين موضعاً .

وهذا من الأهمية فيجب مخاطبة العقول بها ، وأخذ هذا منهج عمل وقدوة صالحة ، وإشادة في للجتمع ، حتى تتأسى القلوب الرقيقة ، وتلين القاسية ، وتحصل النتائج المرجوة تدريجاً ، فإذا كان أبسط العقوق ، التضجر من الوالدين ، وأبسط التضجر كلمة "أف" ، وقد نهى الله عنها ، وأقل أسلوب المخاطبة رفع الصوت عليهما "فلا تنهرهما" ، فإن الإقتداء بالأدب القرآني واجب في التعامل مع الوالدين أو أحدهما عند الكبر، لأن هذا الوقت هو زمن حاجتهما للإحسان ، لما ينتاب الكبير من ضعف القوى ، والأمراض المتتالية ، وحاجته إلى من يؤنسه .. فأعمل فيهما خيراً وبراً ، تحصد نتائجه عاجلاً في أبنائك .

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : لو علم الله شيئاً من العقوق أقل من "أف" لحرمه وعليه في النداء لهما : إلا يسميهما بل يقول : يا أبت يا أمي ، ومن الآداب مع الوالدين قالت عائشة رضي الله عنها : إن رجلاً أتى رسول الله ، ومعه شيخ ، فقال له : "من هذا" ؟ قال : أبى ، فقال له : لا تمشين أمامه ،

ولا تقعدن قبله ، ولا تدعه باسمه ، ولا تستب له" رواه ابن مردويه .

وتمعنّوا أيها الشباب في أحاديث رسول الله ﷺ الكثيرة ، المبسوطة في كتب الحديث ، وفي كتب التفسير، وما فيها من أهمية لرضا الوالدين ، المقرون بطاعة الله ، وسخطيهما من سخط الله ، وجعل رسول الله برهما أفضل من الجهاد في سبيل الله إذا قام به وليّ ودعا إليه — فقد جار رجل يبايع الرسول على الهجرة ، وترك أبويه يبكيان ، فقال له : إرجع فأضحكهما كما أبكيتهما" رواه البخاري .

نماذج من البر :

أورد السيوطي في تفسيره الدر المنثور ، قال : أخرج عبد الرزاق في المصنف ، والبيهقي عن طاووس قال : كان رجل له أربعة أولاد ذكور ، فمرض فقال أحدهم لإخوته : إما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شيء ، وإما أن أمّرضه أنا ، وليس لي من ميراثه شيء .

قالوا : بل مرضه أنت ، وليس لك من ميراثه شيء ، فمرضه حتى مات ، ولم يأخذ من ماله شيئاً ، فأتاه آتٍ في المنام ، فقال له : ائت مكان كذا وكذا ، فخذ منه مائة دينار ، فقال في نومه : أفيها بركة ؟ قالوا : لا .

فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته ، فقالت له : خذها ، فإن من بركتها : أن تكتسي منها ، وتعيش منها .. فأبى فلما أمسى أتى في المنام ، فقيل له : ائت مكان كذا وكذا ، فخذ منه عشرة دنانير، فقال : فيها بركة ؟ قالوا : لا ، فأصبح فذكر ذلك لامرأته ، فقالت له : مثل ما قالت في المرة الأولى ، فأبى أن يأخذها .

فأتي في النوم في الليلة الثالثة ، فقيل له : "أن ائت مكان كذا وكذا ، فخذ منه ديناراً واحداً ، فقال : أفيه بركة ؟ قالوا : نعم ،

فذهب وأخذ الدينار ، ثم ذهب به إلى السوق ، فإذا هو برجل يحمل سمكتين "حوتين" فقال : بكم هذا ؟ ، فقال : بدينار ، فأخذهما منه بالدينار ، ثم انطلق بهما إلى بيته ، فلما دخل بيته ، شق الحوتين ، فوجد في بطن كل واحد منهما درة ، لم ير الناس مثلها .

وكان الملك قد بعث من يشتري له درّة ، فلم توجد هذه الدرّة إلا عند هذا الرجل ، فباعها له بوقر ثلاثين بغلاً ذهباً ، فلما رآها الملك ، قال : ما تصلح هذه إلا بأخت ، فاطلبوا مثلها ، وإن أضعفتم ، قال : فجاؤا لهذا الرجل ، وقالوا : أعندك أختها لنعطيك ضعف ما أعطيناك ؟ قال : أو تفعلون ؟ ، فقالوا : نعم ، فأعطاهم أختها بضعف ما أخذوا الأولى .

وأخرج عبد الرزاق في المصنف والبيهقي ، عن يحيى بن أبي كثير رضي الله عنه ، قال : لما قدم أبو موسى وأبو عامر على رسول الله ﷺ ، فبايعوه وأسلموا ، قال : ما فعلت امرأة منكم تدعى كذا وكذا ؟ قالوا : تركنا في أهلها ، قال : فإنها قد غفر لها ، قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال : ببرها بأمها ، قال : كانت لها أم عجوز كبيرة ، فجاءهم النذير : أن العدو يريد أن يغير عليكم الليلة.

فارتحلوا ليلحقوا بعظيم قومهم ، ولم يكن معها ما تحمل عليه ، فعمدت إلى أمها ، فجعلت تحملها على ظهرها ، فإذا أعيت وضعتها ، ثم ألصقت بطنها ببطن أمها عن الحرّ ، وجعلت رجليها تحت رجلي أمها من الرمضاء حتى نجت" .

وهذا من عملها في برها بأمها ، بعد ما ثقلت هذه الأم من الكبر.

(الدر المنثور في التفسير المأثور ٥ : ٢٦٨ — ٢٦٩) .

***

من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأخلاق

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

عامل أخاك كما تحب أن يعاملك ، وكن لأخيك كما تحب أن يكون لك ، وأحب لأخيك ما تحبه لنفسك ، فعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، وألا تستهزئ من محدثك ، صغر أم كبر، حصل على درجات علمية أم اكتفى بأقل ما فيها أو لم يكن له نصيب في أي منها ، قال رسول الله ﷺ (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا) ، كما أمرنا رسولنا ﷺ بمخاطبة الناس على قدر عقولهم ، فعن عبد الله بن مسعود أنه قال : ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ، وعن جرير بن عبد الله بايعت النبي ﷺ على النصح لكل مسلم ، فعن جرير قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت : أبايعك على الإسلام ، فقبض يده وقال : النصح لكل مسلم ثم قال رسول الله ﷺ : إنه من لم يرحم الناس لم يرحمه الله عز وجل ، مخالقة الناس بخلق حسن ، وهذا يستوجب أن يأخذ الفرد منا حقه بالعدل ويعطي بالمعروف حق الآخرين ، إياك والحسد ، فعن النبي ﷺ أنه قال دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بما يثبت ذلكم لكم ، أفشوا السلام بينكم ، وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب ، وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ إنه قال دب إليكم داء الأمم قبلكم ، الحسد والبغضاء ، والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم ،

أفشوا السلام بينكم ، وعن عطاء بن أبي مسلم عبد الله الخراساني عن رسول الله ﷺ أنه قال : تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا تذهب الشحناء ، قابل أخاك بوجهك طلق وبشاشة فإنكم لا تسعوا الناس بأموالكم ولكن تسعوهم بالابتسامه في وجوههم ، فعلى كل مسلم الإسهام بما يستطيع أن يقدمه من خير للناس حتى ولو كان مجرد ابتسامة كما جاء في الحديث (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) أي بوجه بشوش (وتبسمك في وجه أخيك صدقة) ، عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ إنه قال (تبسمك في وجه أخيك لك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وبصرك للرجل الردئ البصر لك صدقة ، إماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة) رواه الترمذي ، وعن عبد الله بن المبارك أنه وصف حسن الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى ، يحكي لنا تاريخ الأولين في الإسلام ، أن جارية أغضبت سيدها ، ولما رأت الغضب في عينيه ، وأيقنت أنها مخطئة ، وأنه يهم لمعاقبتها ، قال : والكاظمين الغيظ ، فهدأ الرجل ، وقال : كظمت غيظي ، ثم قالت : والعافين عن الناس ، قال : قد عفوت عنك ، ثم قالت : والله يحب المحسنين ، قال اذهبي فأنت حرة ، هكذا علمنا الصالحون فإذا أغضبك إنسان كن من أصحاب العفو ودع الانتقام والقسوة ، وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ إنه قال (من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء) ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى) ، وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال (حرم على النار كل هيّن لين سهل قريب من الناس) ، وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً

كيف أنصره قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره) ، وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) ، وعن النبي ﷺ فيما روى الله تبارك وتعالى أن قال يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال (الظلم ظلمات يوم القيامة) ، وعن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أي الظلم أعظم قال : ذراع من الأرض ينتقصه من حق أخيه فليست حصاة من الأرض أخذها إلا طوقها يوم القيامة إلى قعر الأرض ولا يعلم قعرها إلا الذي خلقها ، وعن النعمان بشير عن رسول الله ﷺ إنه قال (اعدلوا بين أبنائكم اعدلوا بين أبنائكم) ، حدثنا عباد بن كثير الشامي من أهل فلسطين عن امرأة منهم يقال لها فسيلة قالت سمعت أبي يقول سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجل قومه قال لا ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم ، عدم أذية

الجار ، يقول أو فعل أو رائحة طعام أو سد منفذ هواء عليه ، عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ إنه قال (لا يحقرن أحدكم شيئاً من المعروف وإن لم يجد فليلق أخاه بوجه طليق ، وإن اشتريت لحما أو طبخت قدراً فأكثر مرقته واغرف لجارك منه) ، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا وما ذاك يا رسول الله قال الجار لا يأمن جاره بوائقه قالوا يا رسول الله وما بوائقه قال شره) ، الصدق في الحديث ، فعن النبي ﷺ قال (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان) ، وعنه ﷺ إنه قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت) ، عن عبد الله بن مسعود قال إن محمداً ﷺ قال إن الرجل يصدق حتى يكتب صديقاً ويكذب حتى يكتب كذاباً ، وعن النبي ﷺ إنه قال إن شر الروايا روايا الكذب ولا يصلح من الكذب جد ولا هزل ولا يعد الرجل ابنه ثم لا ينجز له ، إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإنه يقال للصادق صدق وبر ويقال للكاذب كذب وفجر ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ويكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ، وإنه قال لنا هل أنبئكم ما العضة وإن العضة هي النميمة التي تفسد بين الناس ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع فذكر عيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ورد السلام ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإبرار المقسم ، وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ إنه قال (ثلاث كلهن حق على كل مسلم عيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس إذا حمد الله عز وجل) ، عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ إنه قال (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال إصلاح ذات البين ، وفساد ذات البين الحالقة) ، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل : إن

الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس) ، وعن ثوبان عن رسول الله ﷺ إنه قال (من مات وهو بريئ من ثلاث : الكبر والغلول والدين دخل الجنة) ، وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ إنه قال (خصلتان لا تجتمعان في مؤمن ، البخل وسوء الخلق) ، عن مصعب بن سعد عن أبيه قال كان يعلمنا خمساً ، كان يقول كان رسول الله ﷺ يدعو بهن : اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فهو لك ، قال رسول الله ﷺ فاقرءوا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) ، إن أبا هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال (أتاني ربي عز وجل الليلة في أحسن صورة أحسبه يعني في النوم فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى قال قلت : لا ، قال النبي ﷺ فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال نحري فعلمت ما في السماوات وما في الأرض ، ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى قال قلت نعم يختصمون في الكفارات والدرجات قال وما الكفارات والدرجات قال المكث في المساجد والمشي على الأقدام إلى الجماعات وإبلاغ الوضوء في المكاره ، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه ، وقل يا محمد إذا صليت اللهم إني أسألك الخيرات وترك المنكرات وحبّ المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة أن

تقبضني إليك غير مفتون ، قال : والدرجات بذل الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام) ، عن صالح بن أبي حسان قال سمعت سعيد بن المسيب يقول إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود ، عن عبادة بن الصامت قال إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا نبي الله أي العمل أفضل ؟ قال : الإيمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيله قال أريد أهون من ذلك يا رسول الله قال السماحة والصبر قال أريد أهون من ذلك يا رسول الله قال لا تتهم الله تبارك وتعالى في شيء قضى لك به ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ عشر من الفطرة ، قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء ، قال زكريا قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ، زاد قتيبة قال وكيع انتقاص الماء يعني الاستنجاء ، عن ابن عباس قال نهى رسول الله ﷺ عن النفخ في الطعام والشراب ، عن عائشة عن رسول الله ﷺ إنه قال (الشؤم سوء الخلق) عن النبي ﷺ إنه قال حسن الملكة يمن وسوء الخلق شؤم ، عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يعلمه الناس ، عن عبد الله بن الزبير قال أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس ، عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ (ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ إنه قال تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق ، يقول إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين ، قال النبي ﷺ : الخديعة في النار ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد .

وللأخلاق الإسلامية مجالها وعملها في شئون المال والاقتصاد ، سواء في ميدان الإنتاج أم التداول أم التوزيع أم

الاستهلاك ، فليس للاقتصاد أن ينطلق كما يشاء بلا حدود ولا قيود ، دون ارتباط بقيم ، ولا تقيد بمثل عليا ، كما هي دعوة بعض الاقتصاديين للفصل بين الاقتصاد والأخلاق ، فليس للمسلم أن ينتج ما يشاء ولو كان ضاراً بالناس مادياً أو معنوياً ، وإن كان يستطيع أن يحصل هو من وراء هذا الإنتاج أعظم الأرباح ، وأكبر المنافع ، إن زراعة التبغ "الدخان" أو "الحشيش" ونحوه من المواد المخدرة أو الضارة قد يكون فيها مكسب مادي كبير ، ولكن الإسلام ينهاه أن يكون كسبه ونفعه من وراء خسارة غيره وضرره ، وإن تصنيع الأعناب ليصيح عصيرها خمراً ، يجلب أرباحاً وفيرة ، ويحقق منافع اقتصادية للمنتجين من أصحاب الكروم ، ولكن الإسلام أهدر هذه المنافع في مقابل المضار الضخمة التي تترتب على الخمر في العقول والأبدان والأخلاق ، وتسبب فساداً في الأفراد والأسر والجماعات ، وليس للمسلم في ميدان التبادل أن يتخذ بيع الخمر أو الخنزير أو الميتة أو الأصنام ، تجارة ، أو يبيع شيئاً لمن يعلم أنه يستعمله في شر أو فساد أو إضرار بالآخرين ، كالذي يبيع عصير العنب أو العنب نفسه لمن يعلم أنه يتخذه خمراً ، أو يبيع السلاح لمن يعلم أنه يقتل به بريئاً ، أو يستخدمه في ظلم وعدوان ، وفي الحديث (إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه) ، وليس للمسلم أن يحتكر الطعام ونحوه مما يحتاج إليه الناس رغبة في أن يبيعه بأضعاف ثمنه ، وفي الحديث الصحيح (لا يحتكر إلا خاطئ) أي آثم ، وليس للتاجر المسلم أن يخفي مساوئ سلعته وعيوبها ، ويبرز محاسنها مضخمة مكبرة ، على طريقة الدعاية الإعلامية المعاصرة ، ليبذل المشترون المخدوعون فيها من الثمن أكثر مما تستحق ، فهذا غش يبرأ منه الإسلام ، ورسول الإسلام قال (من غش فليس منا) ومن غش في معاملته أو خان ، فإن الناس لا يعاملونه مرة ثانية فيفوته ربح المعاملة الدائمة لخيانته مرة ، ولو عرف بالثقة ، لدامت معاملة الناس له فزاد ربحه .

***

من البدهيات في القرآن الكريم

بقلم : الأستاذ محمد عارف جميل المبارك فوري
(نزيل دربن جنوب إفريقية)

(١) قال الله تعالى : ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران الآيتان/١٧٠ — ١٧١) .

في الآية بدهيتان .

الأولى :

فإن قيل : أليس أنه ذكر فرحهم بأحوال أنفسهم والفرح عين الاستبشار ؟ فما الفائدة في ذلك ؟ قلنا : الجواب من وجهين :

الأول : الاستبشار هو الفرح التام فلا يلزم التكرار ، ذكره الرازي (١) .

الثاني : لعل المراد حصول الفرح بما حصل في الحال ، وحصول الاستبشار بما عرفوا أن النعمة العظيمة تحصل لهم في الآخرة ، ذكره الرازي (٢) .

الثانية :

فإن قيل : ما فائدة إعادة فعل (يستبشرون) وقد سبق ؟

والجواب من وجوه :

الأول : وإنما أعاد لفظ (يستبشرون) لأن الاستبشار الأول كان بأحوال الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، والاستبشار الثاني كان بأحوال أنفسهم خاصة ، فقد اختلف متعلق الفعلين فلا تكرار ، ذكره الرازي ، وأبو السعود ، والآلوسي ، والشوكاني ،

(١) الرازي ٤/٤٧٣ . (٢) الرازي ٤/٤٧٣ .

واستظهره أبو حيان (٣) .

الثاني : كرر الفعل على سبيل التوكيد إن كانت النعمة والفضل بياناً لمتعلق الاستبشار الأول ، قال الزمخشري : وكرر (يستبشرون) ليعلق به ما هو بيان لقوله : ﴿أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من ذكر النعمة والفضل ، وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع (٤) .

وتعقبه أبو حيان فقال : وهو على طريقة الاعتزال ، في ذكره وجوب الأجر وتحصيله على إيمانهم ، وسلك ابن عطية طريقة أهل السنة فقال : أكد استبشارهم بقوله : (يستبشرون) ، ثم بين بقوله : (وفضل) إدخالهم الجنة الذي هو فضل منه ، لا بعمل أحد ، وأما النعمة في الجنة والدرجات فقد أخبر أنها على قدر الأعمال انتهى (٥) .

الثالث : الاستبشار الأول بدفع المضار والاستبشار الثاني بوجود المسار ، ذكره الآلوسي (٦) .

(٢) قال الله تعالى : ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران الآية/١٧٦) .

فإن قلت : هلا قيل : لا يجعل الله لهم حظاً في الآخرة ، وأي فائدة في ذكر الإرادة ؟

قلت : فائدته الإشعار بأن الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصاً لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في

(٣) الرازي ٩/٤٧٣ ، وأبو السعود ٢/١٥ ، والآلوسي ٤/١٢٣ ، وأبو حيان في تفسير الآية ، والشوكاني في تفسير الآية . (٤) والزمخشري في تفسير الآية .

(٥) أبو حيان في تفسير الآية ، وابن عطية ٢/٤٤ ، وأبو السعود ٢/١١٥ ، والآلوسي ٤/١٢٣ ، والشوكاني في تفسير الآية . (٦) الآلوسي ٤/١٢٣ .

الكفر ، تنبيهاً على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه ، حتى إن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم ، ذكره الزمخشري (٧) .

(٣) قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران الآية/١٧٧) .

فإن قيل : قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً﴾ (آل عمران الآية/١٧٦) ثم قال في هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران الآية/١٧٧) فما الفائدة في هذا التكرار ؟

قلنا ذكروا في ذلك أقوالاً :

القول الأول : أن يكون قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عاماً في الكفار كلهم ، وقوله ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً﴾ كان عاماً على سبيل التوكيد ، ذكره الزمخشري ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والآلوسي ، والشوكاني ورجحه (٨) .

القول الثاني : وقال الرازي — وهو يعدد فوائد في تكرار هذه الآية — : واعلم أنه تعالى قال في الآية الأولى : ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً﴾ (آل عمران الآية/١٧٦) وقال في هذه الآية : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً﴾ والفائدة في التكرار أمور :

أحدها : إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لا شك أنهم كانوا كافرين أولاً ، ثم آمنوا ثم كفروا بعد ذلك ، وهذا يدل على شدة الاضطراب وضعف الرأي وقلة الثبات ، ومثل هذا الإنسان لا خوف منه ولا هيبة له ولا قدرة له البتة على إلحاق الضرر بالغير .

(٧) الزمخشري في تفسير الآية .

(٨) الزمخشري في تفسير الآية ، وأبو حيان في تفسير الآية ، وأبو السعود ١٢٠/٢ ، والآلوسي ١٣٤/٤ ، والشوكاني في تفسير الآية .

وثانيها : إن أمر الدين أهم الأمور وأعظمها ، ومثل هذا مما لا يقدم الإنسان فيه على الفعل أو على الترك إلا بعد إمعان النظر وكثرة الفكر ، وهؤلاء يقدمون على الفعل أو على الترك في مثل هذا المهم العظيم بأهون الأسباب وأضعف الموجبات ، وذلك يدل على قلة عقلهم وشدة حماقتهم ، فأمثال هؤلاء لا يلتفت العاقل إليهم .

وثالثها : إن أكثرهم إنما ينازعونك في الدين ، لا بناء على الشبهات ، بل بناء على الحسد والمنازعة في منصب الدنيا ، ومن كان عقله هذا القدر ، وهو أنه يبيع بالقليل من الدنيا السعادة العظيمة في الآخرة كان في غاية الحماقة ، ومثله لا يقدر في إلحاق الضرر بالغير ، فهذا هو الفائدة في إعادة هذه الآية ، والله أعلم بمراده (٩) .

القول الثالث : إن قوله : ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إن كان خاصاً بالمنافقين أو المرتدين أو كفار قريش فيكون ليس تكريراً على سبيل التوكيد ، بل حكم على العام بإنهم لن يضروا الله شيئاً ، ويندرج فيه ذلك الخاص أيضاً ، فيكون الحكم في حقهم على سبيل التأكيد ، ويكون قد جمع للخاص العذاب بنوعيه من العظم والألم ، وهو أبلغ في حقهم في العذاب ، ذكره الزمخشري ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والآلوسي ، والشوكاني (١٠) .

القول الرابع : جوز الزمخشري أن يكون الأول عاماً للكفار ، وهذا خاصاً بالمنافقين وأفردوا بالذكر لأنهم أشد منهم في الضرر والكيد (١١) .

(٩) الرازي ٤٨٣/٤ .

(١٠) الزمخشري في تفسير الآية ، وأبو حيان في تفسير الآية ، وأبو السعود ١٢٠/٢ ، والآلوسي ١٣٤/٤ ، والشوكاني في تفسير الآية .

(١١) الزمخشري في تفسير الآية ، وأبو السعود ١٢٠/٢ .

وتعقبه أبو السعود فقال : إن إرادة العام هناك مما لا يليق بفخامة شأن التنزيل لما أن صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لإيراث الحزن لرسول الله ﷺ كما يفهم من النهي عنه إنما يتصور ممن علم اتصافه بها وأما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الأماكن البعيدة فإسناد المسارعة المذكورة إليهم واعتبار كونها من مبادئ حزنه عليه الصلاة والسلام مما لا وجه له (١٢) .

ودافع الآلوسي عن هذا القول فقال : ويمكن أن يقال : إن القائل بالعموم في الأول لم يرد بالكفار مقابل المؤمنين حيث كانوا وعلى أي حال وجدوا ؛ بل ما يشمل المتخلفين والمرتدين مثلاً ممن يتوقع إضرارهم له ﷺ وحينئذ لا يرد هذا الاعتراض (١٣) .

(٤) قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران الآية/١٨٧) .

فإن قيل : البيان يضاد الكتمان ، فلما أمر بالبيان كان الأمر به نهيا عن الكتمان ، فما الفائدة في النهي عن الكتمان ؟

قلنا : الجواب من وجهين :

الأول : المراد من البيان ذكر تلك الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ من التوراة والإنجيل ، والمراد من النهي عن الكتمان أن لا يلقوا فيها التأويلات الفاسدة والشبهات المعطلة ، ذكره الرازي ، وأبو السعود ، والآلوسي (١٤) .

الثاني : صرح به للمبالغة في إيجاب المأمور به ، ذكره أبو السعود ، والآلوسي (١٥) .

---

(١٢) أبو السعود ١٢٠/٢ ، والآلوسي ١٣٤/٤ .

(١٣) الآلوسي ١٣٤/٤ .

(١٤) الرازي ٥/٥ ، وأبو السعود ١٢٦/٢ ، والآلوسي ١٤٩/٤ .

(١٥) أبو السعود ١٢٦/٢ ، والآلوسي ١٤٩/٤ .

(٥) قال الله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران الآية/١٩٠) .

فإن قلت : ذكر هذه الآية في سورة البقرة ثم أعاد ذكرها هنا فما الفائدة في إعادة الآية الواحدة باللفظ الواحد في سورتين ؟

أثار هذا السؤال — وأسئلة أخرى — الرازي وأجاب عنه فقال : فأقول والله أعلم بأسرار كتابه : إن سويداء البصيرة تجري مجرى سواد البصر فكما أن سواد البصر لا يقدر أن يستقصي في النظر إلى شيئين ، بل إذا حدق بصره نحو شيء تعذر عليه في تلك الحالة تحديق البصر نحو شيء آخر ، فكذلك ههنا إذا حدق الإنسان حدقة عقله نحو ملاحظة معقول امتنع عليه في تلك الحالة تحديق حدقة العقل نحو معقول آخر ، فعلى هذا كلما كان اشتغال العقل بالالتفات إلى المعقولات المختلفة أكثر ، كان حرمانه عن الاستقصاء في تلك التعقلات والإدراكات أكثر ، فعلى هذا : السالك إلى الله لا بد له في أول الأمر من تكثير الدلائل ، فإذا استنار القلب بنور معرفة الله صار اشتغاله بتلك الدلائل كالحجاب له عن استغراق القلب في معرفة الله ، فالسالك في أول أمره كان طالباً لتكثير الدلائل ، فعند وقوع هذا النور في القلب يصير طالباً لتقليل الدلائل ، حتى إذا زالت الظلمة المتولدة من اشتغال القلب بغير الله كمل فيه تجلي أنوار معرفة الله ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه الآية/١٢) والنعلان هما المقدمتان اللتان بهما يتوصل العقل إلى المعرفة فلما وصل إلى المعرفة أمر بخلعهما ، وقيل له : إنك تريد تضع قدميك في وادي قدس الوحدانية فاترك الاشتغال بالدلائل .

وإذا عرفت هذه القاعدة ، فذكر في سورة البقرة ثمانية أنواع من الدلائل ، ثم أعاد في هذه السورة ثلاثة أنواع منها ، تنبيها على أن العارف بعد صيرورته عارفاً لا بد له من تقليل الالتفات إلى الدلائل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول ، فكان الغرض من إعادة ثلاثة أنواع من الدلائل وحذف البقية ،

التنبيه على ما ذكرناه ، ثم إنه تعالى استقصى في هذه الآية الدلائل السماوية وحذف الدلائل الخمسة الباقية ، التي هي الدلائل الأرضية ، وذلك لأن الدلائل السماوية أقهر وأبهر والعجائب فيها أكثر ، وانتقال القلب منها إلى عظمة الله وكبريائه أشد ، ثم ختم تلك الآية بقوله : ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وختم هذه الآية بقوله : ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ؛ لأن العقل له ظاهر وله لب ، ففي أول الأمر يكون عقلا ، وفي كمال الحال يكون لبا ، وهذا أيضا يقوي ما ذكرناه ، فهذا ما خطر بالبال ، والله أعلم بأسرار كلامه العظيم الكريم الحكيم (١٦) .

(٦) قال الله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران الآية/١٩٣) .

في الآية عدة بدهيات :

الأولى :

فإن قيل : ما الفائدة في الجمع بين "منادياً" و "ينادي" ؟

قلنا : ذكر النداء مطلقاً ثم مقيداً تفخيماً لشأن المنادي ، لأنه لا منادي أعظم من مناد ينادي للإيمان ، ونظيره قولك : مررت بهاد يهدي للإسلام ، وذلك لأن المنادي إذا أطلق ذهب الوهم إلى مناد للحرب ، أو لإطفاء النائرة ، أو لإغاثة المكروب ، أو الكفاية لبعض النوازل ، وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ، ويهدي لسداد الرأي ، فإذا قلت ينادي للإيمان ويهدي للإسلام فقد رفعت من شأن المنادي والهادي وفخمته ، ذكره الزمخشري ، والرازي ، وأبو حيان ، وأبو السعود ، والشوكاني (١٧) .

الثانية :

فإن قلت : المغفرة والتكفير في اللغة معناهما واحد فما

(١٦) الرازي ٩/٥ .
(١٧) الزمخشري في تفسير الآية ، والرازي ١٩/٥ ، وأبو حيان في تفسير الآية ، وأبو السعود ١٣٤/٢ ، والشوكاني في تفسير الآية .

فائدة الجمع بينهما ؟

قلنا : ذكروا فيه وجوها :

أحدها : أن المراد بهما شيء واحد وإنما أعيد ذلك للتأكيد لأن الإلحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب ، ذكره الرازي ، وأبو حيان ، وابن عاشور (١٨) .

ثانيها : المراد بالأول ما تقدم من الذنوب ، وبالثاني المستأنف ، ذكره الرازي (١٩) .

ثالثها : أن يراد بالغفران ما يزول بالتوبة ، وبالكفران ما تكفره الطاعة العظيمة ، ذكره الرازي (٢٠) .

رابعها : الغفر والتكفير متقاربان في المادة مشتقان منها إلا أنه شاع الغفر والغفران في العفو عن الذنب والتكفير في تعويض الذنب بعوض ، فكأن العوض كفر الذنب أي ستره ، ومنه سميت كفارة الإفطار في رمضان ، وكفارة الحنث في اليمين إلا أنهم أرادوا بالذنوب ما كان قاصراً على ذواتهم ، ولذلك طلبوا مغفرته ، وأرادوا من السيئات ما كان فيه حق الناس ، فلذلك سألوا تكفيرها عنهم ذكره ابن عاشور ، وأبو حيان والآلوسي (٢١) .

الثالثة :

فإن قيل : الذنوب والسيئات واحد فما فائدة التكرار ؟

قلنا : الجواب من وجوه :

الأول : ﴿ذُنُوبَنَا﴾ أي كبائرنا ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ أي صغائرنا ويؤيده قوله تعالى : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ

(١٨) الرازي ٢٠/٥ ، وأبو حيان في تفسير الآية ، وابن عاشور في تفسير الآية .
(١٩) الرازي ٢٠/٥ .
(٢٠) الرازي ٢٠/٥ .
(٢١) ابن عاشور ٣٠٥/٣ ؛ وأبو حيان ٤٩٥/٣ ، والآلوسي ١٦٦/٤ .

﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ (النساء الآية/٣١) وهو التفسير المؤثور عن ابن عباس ، وأيد بأنه المناسب للغة لأن الذنب مأخوذ من الذنب بمعنى الذيل ، فاستعمل فيما تستوخم عاقبته وهو الكبيرة لما يعقبها من الإثم العظيم ، ولذلك تسمى تبعة اعتباراً بما يتبعها من العقاب كما صرح به الراغب ، وأما السيئة فمن السوء وهو المستقبح ولذلك تقابل بالحسنة فتكون أخف ، ذكره الزمخشري ، وأبو حيان ، وأبو السعود والآلوسي (٢٢) .

الثاني : أن يكون المراد بالأول ما أتى به الإنسان مع العلم بكونه معصية وذنباً ، وبالثاني : ما أتى به الإنسان مع جهله بكونه معصية وذنباً ، ذكره الرازي والآلوسي (٢٣) .

الثالث : وقيل : المراد من الذنوب ما تقدم من المعاصي ، ومن السيئات ما تأخر منها ، الآلوسي (٢٤) .

الرابع : الذنوب ترك الطاعات ، والسيئات فعل المعاصي ، ذكره أبو حيان (٢٥) .

الخامس : وقيل : الذنوب والسيئات بمعنى ، وجمع بينهما تأكيداً ومبالغة ، وليكون في ذلك إلحاح في الدعاء ، فقد روي : "إن الله يحب الملحين في الدعاء" ، ذكره أبو حيان (٢٦) .

---

(٢٢) الزمخشري في تفسير الآية ، وأبو حيان في تفسير الآية ، وأبو السعود ١٣٤/٢ ، والآلوسي ١٦٦/٤ . (٢٣) الرازي ٢٠/٥ ؛ والآلوسي ١٦٦/٤ .

(٢٤) الآلوسي ١٦٦/٤ .

(٢٥) أبو حيان ٤٩٥/٣ .

(٢٦) أبو حيان ٤٩٥/٣ وحديث : "إن الله يحب" .. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث عائشة رضي الله عنها ١٦٧/٣ برقم [١١٢٠] بلفظ : "إن الله ليحب الملحين في الدعاء" .

****

دعاوي المستشرقين الباطلة ضد الفلسفة الإسلامية العربية والدفاع عن أصالتها

(الحلقة الثانية)

بقلم : الأستاذ صلاح الدين محمد شمس الدين الندوي الأزهري
(قسم اللغة العربية ولغات الشرق الأوسط كلية اللغات واللسانيات جامعة مالايا - كولالومبور ماليزيا)

(١) أصالة الفلسفة العربية الإسلامية عند الدكتور إبراهيم مدكور :

قد نشر الدكتور إبراهيم مدكور كتاباً بعنوان : "الفلسفة الإسلامية : "منهج وتطبيق" بعد ثلاث سنوات فقط من ظهور "التمهيد" للأستاذ مصطفى عبد الرزاق (١) .

وانطلق كسابقه من المنطق ذاته : الرد على منكري الأصالة في الفلسفة الإسلامية ، أولئك الذين بنوا آراءهم فيها على "مجموعة فروض ليس بينها وبين الواقع صلة" ، هي فروض "وضعت الفلسفة الإسلامية موضع الشك زمناً ، فأنكرها قوم وسلّم بها آخرون ، وكانت موجة الشك فيها طاغية طوال القرن التاسع عشر ، فظن — في تحامل ظاهر — أن تعاليم الإسلام تتنافى مع البحث والنظر الطليق ، وأنها تبعاً لهذا لم تأخذ بيد العلم ولم تنهض بالفلسفة ولم تنتج إلا إنحلالاً موغلاً واستبداداً ليس له مدى ، في حين أن المسيحية كانت مهد الحرية ومنبت النظم النيابية وقد صانت ذخائر الفنون والآداب وبعثت العلوم بعثاً قوياً ومهدت للفلسفة الحديثة وغذتها" ، وقد وجدت مثل هذه الفروض سندها في نظرية رينان ، وما بناه عليها جوتييه من ادعاءات في أوائل هذا القرن ، مثل ادعائه "أن العقل السامي لا طاقة له إلا على إدراك الجزئيات والمفردات ، منفصلة بعضها عن بعض ، أو مجتمعة في غير تناسب ولا انسجام ولا تناسق ولا ارتباط ، فهو عقل مباعدة وتفريق لا جمع وتأليف ، أما العقل

---

(١)المرجع السابق ص/٣١٢ .

الآري فعلى عكس ذلك يؤلف بين الأشياء بوسائط تدريجية ، لا يتخطى واحداً منها إلى غيره إلا على سلم متدانى الدرج لا يكاد يحس التنقل فيه فهو عقل جمع ومزج" ، وهكذا فلما كان العرب ينتمون إلى الجنس السامي المفطور على إدراك الجزئياتِ وحدها ، فإنه من "العبث أن نلتمس لديهم آراء علمية أو دروساً فلسفية ، خصوصاً وقد ضيق الإسلام آفاقهم وانتزع من بينهم كل بحث نظرى ، وأضحى الطفل المسلم يحتقر العلم والفلسفة" (٢) .

وليلاحظ أن معرفة الغربيين بالثقافة العربية قبل النصف الأخير من القرن الماضي كانت هزيلة ناقصة ومستمدة "في الغالب من المصادر اللاتينية ، وأما الشرقيون أنفسهم فلم يكن في وسعهم ، وقد كانوا مغلوبين على أمرهم ، أن يحيوا معالمهم ، ولا أن ينهضوا بتراثهم" ، أما من خلال النصف الأخير من القرن الماضي فقد بدأ الموقف يتغير مع اتجاه المستشرقين — وهنا يذكر هذا الاسم لأول مرة — "في عناية نحو الدراسات الإسلامية ... فيرجع الفضل إليهم في اختراق هذا الطريق وتوجيه النظر إلى هذه الغاية ، وقدٍ نشطتِ حركة الاستشراق في الربع الأول من هذا القرن نشاطاً عظيماً .. فـ "لم يقف المستشرقون عند الطبع والنشر ، بل حاولوا أن يكشفوا معالم الحياة العقلية في الإسلام وأرخوا لها جملة وتفصيلا ، فكتبوا عن الفلسفة والفلاسفة ، وعن التصوف والمتصوفين ، يشرحون الآراء ، والمذاهب أو يترجمون للأشخاص والمدارس" .. ثم يضيف : "ولو لم يقيض الله لفلاسفة الإسلام جماعة من المستشرقين وقفوا عليهم بعضِ بحوثهم ودراساتهم ، لأصبحنا اليوم ونحن لا نعلم من أمرهم شيئاً يذكر" (٣) .

وقد لاحظ بعض الدارسين أن الدكتور إبراهيم مدكور يشعر بأن الفلسفة الإسلامية ، برغم كل جهود المستشرقين "لم تدرس بعد الدراسة اللائقة بها ، لا من ناحية تاريخها ولا نظرياتها ولا رجالها ، ولا تزال الحلقة المفقودة في تاريخ الفكر

(٢) المرجع السابق ص/٣١٢ .

(٣) المرجع السابق ص/٣١٣ .

الإسلامي" ، "فنحن في حاجة ماسة إلى متابعة السير وإتمام كشف تلك الحلقة المفقودة في تاريخ الفكر الإنساني ، وبذل الجهد في وضعها في مكانها الطبيعي .

فهدف مشروعه هو "إعادة بناء تاريخ الفلسفة الإسلامية" لإتمام كشف تلك الحلقة المفقودة من تاريخ الفكر الإنساني في القرون الوسطى ، ووضع الفلسفة العربية الإسلامية في مكانها البارز في الشرق في مقابل الفلسفة اللاتينية في الغرب (٤) .

(٢) تعقيب الأستاذ الجابري على مأخذ كل من صاحبي "التمهيد" و "منهج وتطبيق" :

إن الدكتور الجابري قد سجل بعض الملاحظات على مأخذ كل من صاحبي "التمهيد" و "منهج وتطبيق" في مقالة بعنوان : "الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الإسلامية" ، وقال : "وحتى لا نذهب بعيداً ، في مقالة محدودة الحجم والمدى سنكتفي بالرجوع إلى كتاب واحد كان المرجع الأساسي والرئيسي الذي استلهم منه — فيما يبدو — كل من صاحبي "التمهيد" و "منهج وتطبيق" مشروعهما ، إنه كتاب "تاريخ الفلسفة" لأميل برهية ، أستاذ الفلسفة الشهير في جامعة السوربون بباريس في الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن (الماضي) .

خصص (أميل برهية) مدخل كتابه الذي يقع في سبعة مجلدات لتحليل الظروف الفكرية العامة التي نشأ فيها ذلك النوع من البحث الذي يسمى الآن بـ "تاريخ الفلسفة" والتي عرفتها أوربا في القرن الماضي خاصة ، ما يهمنا أساساً هو الخلفيات التي كانت تحركهم والإطار العام الذي كانوا يفكرون داخله ، نقصد بذلك رغبتهم في إعادة بناء الفكر الفلسفي الأوربي بصورة تحقق له "الوحدة الاستمرارية" من جهة وتجعل منه من جهة أخرى "التاريخ العام" للفلسفة كلها ، وهذا وذلك ما حاول الأستاذ برهية نفسه أن يحققه في كتابه .

وهكذا فعلى الرغم من اعترافه في مدخل كتابه بأسبقية

(٤) المرجع السابق ص/٣١٤ — ٣١٥ .

بلدان الشرق الأدنى "مصر وبلاد ما بين النهرين" في مجالات التفكير الديني والعلمي وحتى الفلسفي ، فإنه ينطلق في الفصل الأول من كتابه من فلاسفة اليونان الأولين "فلاسفة ما قبل سقراط" باعتبار أن الفلسفة كما يقول "ولدت في القرن السادس — قبل الميلاد — في بلدان أيونية ، وفي المدن الساحلية التي كانت حينذاك مدناً تجارية غنية" ، ومن هنا ، من المدن الأيونية اليونانية "نبع" نهر الفلسفة ليشق طريقه إلى أثنيا ثم منها إلى روما ، لينتشر بعد ذلك في أوربا المسيحية خلال القرون الوسطى ، وفي أوربا الحديثة إلى يومنا هذا ، وخلال هذه المسيرة "التاريخية" الطويلة يحرص الأستاذ برهية على إبراز "الوحدة الاستمرارية" في تاريخ الفكر الفلسفي في أوربا ، متوجا بذلك جهود الذين سبقوه في هذا الميدان منذ القرن الثامن عشر ، وكما يقول هو نفسه : "لقد عمل مفكرو القرن الثامن عشر ، إذن ، على إدخال الوحدة الاستمرارية في تاريخ الفلسفة ، ومن ثم فإن القسم الأول من القرن التاسع عشر كله كان مسرحاً لمجهود استهدف تشييد البناء الذي لم يكن قد تعدى العمل فيه من قبل مرحلة رسم المعاجم العامة" ، إنه "بناء" تاريخ الفلسفة في أوربا الذي هدف برهية إلى تقديم صورة عنه أكثر تماسكا وانسجاماً (٥) .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن "تاريخ الفلسفة" هذا الذي "تحققت فيه" أو "حققت له" الوحدة الاستمرارية هو وحدة التاريخ "العام" و "الرسمي" للفلسفة ، أما ما عداه فهوامش إن حظيت ببعض الاعتراف فليس بوصفها جزاء مقوماً لهذا التاريخ "العام" بل بوصفها "بركا" أشبه بـ "البحر الميت" معزولة ومفصولة عن "النهر الخالد" المتدفق من بلاد اليونان ، ولذلك لم تجد مكاناً لها في المجلدات السبعة التي خصصها برهية لهذا "النهر الخالد" نهر الفلسفة اليونانية — الأوربية ، وإنما أضيف بعضها كملاحق

(٥) المرجع السابق ص/٣١٨ .

صدر منها فيما نعلم ملحقان : واحد خاص بـ "الفلسفة في الشرق" كتبه بول ماسون أورسيل ، والآخر خاص بـ "الفلسفة البيزنطية" كتبه بازيل طاطاليس ، أما الفلسفة في الإسلام فلم تحظ في مشروع برهية بملحق خاص ، وإنما وردت الإشارة إليها في سياق الكلام عن انتقال الفلسفة اليونانية إلى أوربا (٦) .

فالأمر يتعلق إذن بتاريخ للفلسفة مبني جملة وتفصيلاً على المركزية الأوربية في أضيق صورها ، إنه تاريخ للفلسفة في أوربا من العصر الهيليني إلى العصر الحديث ينصب تنصيباً على أنه التاريخ "العام" للفلسفة متجاهلاً ليس فقط الفلسفة في الإسلام التي احتلت لمدة أربعة قرون مكاناً بارزاً في الثقافة العربية الإسلامية التي كانت ثقافة العالم في عصرها ، بل ومتجاهلاً كذلك الفلسفة التي ازدهرت قبل الإسلام في البلدان التي ستصبح عربية إسلامية كمصر وسورية والعراق (مدرسة الإسكندرية والمدارس السريانية .. إلخ) .

في إطار هذه المركزية الأوربية المفرطة تمت ، إذن ، إعادة بناء تاريخ الفلسفة الأوربية الذي أصبح يقدم على أنه التاريخ العام أو التاريخ العالمي للفلسفة ، نعم لم يكن مؤرخو الفلسفة في أوربا ، سواء في القرنين الماضيين أو في القرن الحالي يصدرون عن فلسفة واحدة في التفكير أو يستندون إلى منهج واحد ، ولكن تنوع رؤاهم الفلسفية ومناهجهم واختلافهم لم يكن أبداً خارج الإطار الذي كانوا يتحركون داخله ، ويعملون جميعاً على تقويته وتعزيزه ، إطار المركزية الأوربية (٧) .

يقول ديبور في المدخل الذي خصصه لـ "مصادر" الفكر الفلسفي في الإسلام : "لم تكن للعقل السامي قبل اتصاله بالفلسفة اليونانية ثمرات في الفلسفة وراء الأحاجي والأمثال

(٦) المرجع السابق ص/٣١٨ .

(٧) المرجع السابق ص/٣١٨ — ٣١٩ .

الحكمية ، وكان هذا التفكير السامي يقوم على نظرات في شئون الطبيعة متفرقة لارابط بينها ويقوم بوجه خاص على النظر في حياة الإنسان ومصيره ، وإذا عرض للعقل السامي ما يعجز عن إدراكه لم يشق عليه أن يرده إلى إرادة الله التي لا يعجزها شيء ، والتي لا ندرك مداها ولا أسرارها .. "يتبنى ديبور إذن ، من دون تردد ولا مواربة نظرية رينان بكل ما تحمله من مضامين عنصرية ، وبالتالي فالحكم على الفلسفة العربية الإسلامية حكم مسبق : ذلك لأنه ما دامت تنتمي إلى شعب من "الجنس السامي" فهي لا يمكن أن تكون أصلية ، ولا أن تشتمل على عناصر جديدة ، لأن "الأصالة" و "الجدة" في الفكر والفلسفة مقصورتان على "الجنس الآري" وحده .

هذا الحكم المسبق الذي تتضمنه الفقرة السابقة يأتي صريحاً واضحاً عند ما ينصرف الحديث مباشرة إلى "الفلسفة في الإسلام" حيث نقرأ "وظلت الفلسفة الإسلامية على الدوام فلسفة انتخابية عمادها الاقتباس مما ترجم من كتب الإغريق ، ومجرى تاريخها أدنى أن يكون فهما وتشربا لمعارف السابقين ، لا ابتكاراً ولم تتميز تميزاً يذكر عن الفلسفة التي سبقتها ، لا بافتتاح مشكلات جديدة ، ولا هي استقلت بجديد فيما حاولته من معالجة المسائل القديمة ، فلا نجد في عالم الفكر خطوات جديدة تستحق أن نسجلها لها" (٨) .

واضح إذاً إن هدف ديبور وزملائه المستشرقين من دراسة الفلسفة الإسلامية ، ليس البحث فيها عن عناصر أصيلة ، ولا عن لون آخر من الفكر الإنساني .. كلا إن "التاريخ" لها ليس لذاتها ولا حتى بوصفها "واسطة" بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الأوربية في القرون الوسطى ، بل إن ما يهم المستشرق منها "أكبر كثيراً" بالنسبة لما يشغل اهتمامه : إنه يعمل على تكملة وتتميم تاريخ "النهر الخالد" ، نهر الفلسفة في أوربا (٩) .

(يتبع)

(٨) المرجع السابق ص/٣٢٣ .(٩) المرجع السابق ص/٣٢٤ .

مبادئ تعاليم القرآن الخلقية

بقلم : الدكتور محمد محامد حسين الندوي
(الباحث في مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي)

الحمد لله الذي أنزل القرآن على أكرم عبده ، روحاً من أمره ، ونوراً من عنده ، يهدي به من يشاء من عباده ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الممدوح من رب العالمين بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، وبعد :

فما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو كتاب الهدى والنور ، يضيئ الطريق لأتباعه ويهديهم إلى أحسن مسالك الدنيا وأقومها ، وإلى أرقى مبادئ الحياة وأشرفها ، فيرشد إلى تهذيب أخلاقهم وتسوية اعوجاجهم وإصلاح أمورهم ، فلا غرو من أن يأتي بآيات بينة ، ونصوص ناصعة تعالج مقومات الأخلاق ، ويأمر بمكارمها وينهى عن رذائلها .

تعريف الأخلاق :

قبل أن أستعرض مبادئ تعاليم القرآن الأخلاقية يكون من المناسب أن أقف قليلاً عند حقيقة كلمة الأخلاق لغة واصطلاحاً ، فالأخلاق في اللغة هي جمع خلق (على وزن فعل) وخلق (على وزن فعل) بمعنى القوى الباطنية والسجايا الذاتية للإنسان ، ولذا قال بعض العلماء في حد الأخلاق بأنها هي مجموعة الأوصاف المعنوية والسجايا الباطنية للإنسان (١) ، وقال بعض العماء : إن كلمة الأخلاق أحياناً تطلق على أسلوب العمل واتجاه السلوك الذي يظهر من بين الملكات النفسانية والمواهب

(١) لسان العرب ، والمعجم الوسيط في مادة خلق .

العقلانية للإنسان أيضاً ، وقال في حدها العلامة ابن مسكويه في كتابه "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" : "إن الخلق هو تلك الحالة النفسانية التي تدعو الإنسان لأفعال لا تحتاج إلى تفكر وتدبر" (٢) وهو نفس ما أشار إليه الإمامان الكبيران ، وهما : الإمام الغزالي والإمام الفيض الكاشاني ، حيث يقول الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" : "بأنه (الخلق) عبارة عن هئية في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية" (٣) ، ويقول الإمام الفيض الكاشاني في كتابه : "الحقائق" : "إعلم الخلق هو عبارة عن هئية قائمة في النفس تصدر منها الأفعال بسهولة من دون الحاجة إلى تدبر وتفكر" (٤) .

وباعتبار ما تفضي إلينا ثمرتها يمكن القول بأن الأخلاق لها قسمان :

الأول ملكاتها التي تحث صاحبها على الأعمال الفاضلة والسلوكيات الحسنة وتنتج عنها أقوال وأفعال جميلة عقلاً وشرعاً ، فبذلك تسمى الأخلاق الحسنة ، والثاني تكون منشأ للأعمال الخسيسة والسلوكيات الرديئة ، وتنتج عنها أقوال وأفعال مذمومة عقلاً وشرعاً ، فبذلك تسمى الأخلاق الرذيلة .

ومن هنا يمكن أن نقول في ضوء المفهوم العام بأن الأخلاق هي طراز حكمة الإنسان العملية الذي يعامل به الإنسان مع الإنسان الآخر حيث يترك في نفسه أثراً من الحسن أو السوء ، ومن البديهات أن الناس بطيعتهم الفطرية يحبون الأخلاق الحسنة التي تتميز بتأثيرها البديع الجذاب في إيجاد التوفيق وتحقيق الفلاح والنجاح للأفراد وللمجتمع ولا يميلون نحو

(٢) تهذيب الأخلاق ، ص/٥١ .

(٣) إحياء علوم الدين ، ج/٣ ص/٤٦٥ . (٤) الحقائق ، ص/٥٤ .

الأخلاق السيئة — مهما كانت مكانة صاحبها — التي تسبب النفوز والكراهية والبغض ، وتجر صاحبها إلى انقطاع المودة بينه وبين المجتمع .

وفي هذا ما يدفعنا إلى القول بأن الأخلاق ليست موهوبة في فطرة الإنسان على الإطلاق ، ولا مكتسبة بالمرونة والثقافة على الإطلاق بل بعضها طبيعية والأخرى مكتسبة ، تتأزر الفطرة السليمة مع دلالة العقل الرشيد السوي في إدراك جانب من الأخلاق واستقرارها ، ثم تأتي نوبة الشريعة لتكمل الفطرة وترشد العقل وتهدي إلى الأصول والضوابط التي تساوي بين الفرد والمجتمع من الناحية الخلقية .

من خلال ذلك يتبين لنا أن الأخلاق تنقسم إلى قسمين :

الأول : الأخلاق الفطرية — التي ترافق الإنسان وتصاحبه في جميع أحواله ، مثال تلك الأخلاق النبيلة : الأمانة ، والحلم ، والأناة ، والمروءة ، والحياء ، والتسامح ، والحسد ، والغيبة ، والكبر ، والغضب ، وغيرها ، التي تأتي وتظهر تلقائيا من داخل الإنسان فلتة ، يشهد بذلك القرآن الكريم نفسه فيقول : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٥) ، فقد يستنبط من هذه الآية الكريمة أن النفس الإنسانية قد تلقت من عند الله في وجودها الأول قوة الإدراك والإحساس بالخير والشر ، وقد يدلني كثير من الأحاديث النبوية إلى أن من الأخلاق ما هي فطرية ، والناس يتفاوتون بينهم بقدر مواهبهم الفطرية الخلقية ، فقد روي أن النبي ﷺ قال للمنذر بن عازر : "إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة ، فقال يا رسول الله كانا بي أم حدثاً ؟ قال : بل قديم ، فقال الحمد الله الذي جبلني على خصلتين يحبهما" (٦) .

(٥) سورة الشمس : ٧ — ٨ . (٦) رواه أبو داؤد وأحمد في باب الأدب .

عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله ﷺ : "إن الأمانة نزلت في جذور قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة" (٧) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" (٨) .

في هذه الأحاديث النبوية الكريمة تبيين عن الأمانة وعن كيفية ترسيخها في الناس ، فقد بين رسول الله ﷺ حقيقة من حقائق التكوين الخلقي الفطري في الناس ، وهذه الإبانة توضح لنا أن الناس يكونون في الأصل أمناء ومختلفي الأوصاف والخصائل .

هذا أبو بكر رضي الله عنه لم يذق الخمر قط ، ولما سئل عنه لما كان يحترز منها في الجاهلية ، فقال : "كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي ، فإن من شرب الخمر كان مضيعاً في عقله ومرؤته" .

وهذه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها حينما جاءها رسول الله ﷺ بعد نزول الوحي خائفاً وهو يقول : "زملوني ، زملوني" قالت له مسلية : "والله لا يخزيك الله أبداً ، إن لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الدهر" (٩) .

وعند ما بايعت النساء رسول الله ﷺ قال : بايعني على أن لا تشركن بالله شيئاً ، و .. إلى أن قال ولا تزنين ، قالت هند بنت

(٧) رواه الإمام البخاري في باب الفتن ، ومسلم في باب الإيمان . (٨) رواه الإمام مسلم في باب البر والصلة والآداب ، والإمام أحمد في مسنده ج/٢ ، ص/٥٢٥ .
(٩) رواه الإمام البخاري في باب بدء الوحي ، والإمام مسلم في باب الإيمان .

عتبة متعجبة : "هل تزني الحرة" ؟ (١٠) فسؤالها متعجبة يدل على العزة والحمية والغفة والعصمة ، وتلك هي الفطرة السليمة التي فطرهن الله عليها ، عرفن بها الحق والباطل وميزن بها الخير والشر — والفطرة حينما تسلم من العوامل المفسدة والمؤثرات القذرة تهدي صاحبها إلى الصراط المستقيم وتدله إلى الصواب وتدفعه إلى كل خير وجميل .

وفي هذه الأمثلة نجد أن بعض الأخلاق الفاضلة الفطرية كانت متأصلة في الناس قبل بعثة النبي ﷺ ويتعامل بها عامة الأخيار منهم ثم جاء الإسلام فأقرها وهذبها وأقامها على أحسن الطريق ، وأجود الأسلوب .

الثاني : الأخلاق المكتسبة — فكما وهب الله تعالى الإنسان بعض الملكات الفطرية الخلقية ، كذلك في وسع الإنسان الكامل أن يكتسب بعض الخصائل الإنسانية والصفات الأخلاقية من بين ثنايا الثقافات والتعاليم المختلفة والتجاريب المتكررة ، مثال ذلك : الاحترام ، والاحتقار ، والتعصب ، والإخاء ، ومساعدة المحتاجين ، والرفق بالحيوان ، وعدم التعرض للأشجار والمزارع ومصلحة عامة الناس وغيرها ، والناس في ذلك لا يكونون متساوين أيضاً ، بل هم يكونون متفاوتين متباينين بمدى استعدادات ثقافتهم وبمستوى معرفتهم التي اكتسبوها .

فمما لا شك فيه أن كثيراً من الحسنات التي يأتي بها الإنسان هي لا تحدث من عنده إلا بسبب معرفته بعواقبها ، وأن كثيراً من السيئات لا يرتكبها الإنسان إلا بسبب عدم الاطلاع والفهم وقلة التجربة والثقافة ، ومن هنا يمكن أن نقول : إننا إذا استطعنا على رفع المستوى العلمي للأفراد وقدرنا على نشر

(١٠) رواه أحمد بن حنبل في مسنده ج/٦ ص/٣٦٥ .

الثقافة بين عامة الناس ، فستحتل الفضائل مكان الرذائل وإن كان هذا الأمر ليس كلياً ، وبحسب ما وهب الله كلا من الإنسان من مقدرات مكتسبة واستعدادات فطرية خاصة ، وضع الإسلام والقرآن قواعد الأخلاق التي تميز بين الخير والشر والنافع والضار ، وسأناقش — إن شاء الله تعالى — في هذا الموضوع في السطور الآتية .

أهمية الأخلاق في المجتمع الإنساني :

إن الأخلاق هي من أهم الدعائم والأسس التي يقوم عليها نظام الحياة البشرية وقيمها النبيلة ، ومن أعظم المقومات للحضارة الإنسانية ، وهي من أكبر الأسباب لنجاح الأفراد والأمم في حياتهم إذا صلحت وكرمت ، ومما لا شك فيه أن المستوى الأخلاقي للأمة هو مقياس حضارتها ، وأساس بناء مجتمعها ، لذلك نرى أن جميع الأديان السماوية دعت إليها ، واتفقت كلمة العلماء والحكماء وآراء الباحثين والفلاسفة على ضرورتها لجملة الأفراد وللمجتمع كما يعتني بمكارمها ومحاسنها الشعراء في كلامهم أيضاً ، فيقول أمير الشعراء أحمد شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول شاعر آخر ناصحاً مخاطبه باهتمام الأخلاق الكريمة ، مع الآخرين :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان وإحسان

ويقول الكاتب الكبير الفرنسي شاتوبريان : "الأخلاق أساس كل مجتمع" فمكارم الأخلاق حاجة ماسة للأفراد وللمجتمع البشري ، وغاية من أسمى الغايات الإنسانية ، لا يمكن الاستغناء عنها لأي نوع من الأنواع البشرية ولا لأي مجتمع من للمجتمعات الإنسانية ، وكلما فقدت الأخلاق الكريمة التي هي الجسد الوسيط

اللازم لارتباط الإنسان مع الإنسان الآخر ، أصيب أفراد المجتمع بالتفكك والتشتت ، فتصارعوا فيما بينهم وتنابهوا مصالحهم ، ثم أدى بهم ذلك إلى الانحلال والانهيار ثم الدمار والهلاك ، من أجل ذلك منذ أول وجود للمجتمع الإنساني كانت المهمة الأخلاقية من أحسن المهمات لسائر الأديان والمذاهب والفلسفات الأخرى .

أهمية الأخلاق ومكانتها عند الإسلام :

بما أن الإسلام هو دين كامل شامل للحياة البشرية ، صالح لكل زمان ومكان ، ضامن لكل أمة وطبقة ، فيه النفع للدولة وللمجتمع والفرد معا ، فلا صلاح ولا أمان للعالم كله إلا به ، إذاً فالمهمة الأخلاقية في نظره أشد ضرورة وأكبر أهمية ، ولذا نرى أن الأخلاق الكريمة عند الإسلام احتلت مكانة مرموقة ، وأخذت حيزاً متسعاً في أحكامه وتعاليه ، وتمتعت بكثير من اهتمامه ورعايته ، فقد يظهر ذلك في تشديده على الاستمساك بها ، وتأكيده على التخلي بها ، ودعوته إلى التخلي عن أضدادها ، وتشريعه بعض الأحكام على أساس الأخلاق التي دعا إليها ، فهو يعتبر مكارم الأخلاق علامة لكمال الإيمان وسمة من سمات المؤمن ، ويجعلها مقصداً لرسالته ومهمته ، فقد روي عن النبي ﷺ يقول : "إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وألطفهم بأهله" (١١) ، وروي عنه ﷺ : "ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حساب الخلق ، إن الله يبغض الفاحش البذي" (١٢) .

وروي عنه ﷺ : "لا تحتقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" (١٣) وقال عليه الصلاة والسلام : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" .

---

(١١) رواه الترمذي . (١٢) رواه الطبراني في الكبير عن أم الدرداء .

(١٣) رواه أحمد في مسنده والترمذي ومسلم .

لم يكتف الإسلام بالدعوة العامة إلى التحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن رذائلها ، بل إنما جاء بأسس متينة ومعايير راسخة ، وابتكر طرق السير وفقاً لفطرة الإنسان ومقدرته ، وهذه الأسس والمعايير والطرق ليست كصناعية ووضعية بأيدي الإنسان العام ، وإنما هي وحي يوحى في أسلوب أوامر ونواه ومباحات ومحظورات ، ثم فصلها حسب المراتب ودرجاتها مع ذكر نوعيتها الحكمية ، فالصدق ، والأمانة ، والعدالة ، والوفاء بالعهد ، والعفة وغيرها من الصفات الفاضلة التي أوجبها الإسلام على أتباعه ، وكذلك المؤاساة ، والتراحم ، والسخاء ، وإكرام الكبار والضيوف ، وسعة الصدر ، والتعاون ، والتسامح ، والكرم ، والأخوة الصادقة ينظر إليها الإسلام نظرة تقدير وتبجيل ، كما ينظر إلى الصبر ، والثبات والحلم ، والاعتدال ، وكظم الغيظ ، وعلو الهمة ، والبسالة ، وغيرها نظرة تكريم واستحسان ، وأما الكذب ، والنفاق ، واتباع الهوى ، والبخل ، والرياء ، والكبر ، والحسد ، والطمع ، والاحتقار ، وقساوة القلب ، وضيق الصدر ، والخداع ، والغيبة ، والنميمة .. وغيرها فقد نهى عنها الإسلام بالتشديد والتأكيد ، وليس لها مكان في الإسلام .

يرجع تفصيل هذه الأحكام الكريمة إلى مصدرين رئيسيين ، أولهما القرآن الكريم الذي يحمل بين طيات صفحاته المباركة أفضل قواعد الأخلاق الإنسانية ، وأسمى مناهجها المتكاملة ، وثانيهما الأحاديث النبوية المطهرة التي هي حافلة بكل ما ينفع الناس في الحياة الدنيوية والأخروية ، وسيرة النبي ﷺ العاطرة التي وصفها خالقه ومربيه في كتابه العزيز بقوله : **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** وينصح عباده المؤمنين بقوله : **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾** .

وأنا في هذا الوقت لست إلا في محاولة الإحاطة بمبادئ

القرآن الكريم الأخلاقية الرفيعة وبيان مفاهيمها النبيلة .

مبادئ تعاليم القرآن الخلقية :

لقد نظم القرآن الكريم العقد الخلقي البشرى بمجموعة من الأطر الوثقى والضوابط الشاملة حتى يتمكن النوع البشري من تحقيق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل والأتم من تأدية الواجبات الإلهية والقيام بالإعتبارات الإنسانية فالارتقاء بها ، لتصبح أفراد النوع البشرى ومجتمعاته آمنة سالمة من كل الأمراض اللاخلقية .

مبادئ تعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته في مجال الأخلاق البشرية تدور كلها حول الحث بالتشديد على الاستمساك بمكارم الأخلاق والإعراض بالتأكيد عن مساوئها ، تدور حول مسؤولية أتباعه تجاه إخوانه في الدين والحياة ، واتباعه للأسوة الحسنة فيما كيف ينبغي أن تكون علائق الإخاء الجميل ، وفيما كيف أن تكون الحكمة العملية ، مثلاً : في المسارعة إلى الخير ، واختيار الأمانة في التعامل ، والمجيئ بالمساعدة مع الآخرين ، والتوسط في النفقة ، واتخاذ الاتحاد ، والاجتناب عن الافتراق ، وكذلك في أكل الطيب الحلال ، وأصول الزيارة ، وأدب المحادثة بينهم ، وغيرها من الأخلاق الكريمة النبيلة .

لقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم آمرة بالأخلاق الفاضلة وناهية عن الرديئة منها ، وها أنا أقدمها إليكم — على سبيل المثال لا الحصر — التي هي مبادئ تعاليم القرآن الأخلاقية الحقة ، وستكون — إن شاء الله — هذه الآيات مشتملة على فصلين ، أحاول في الفصل الأول أن أقوم بإحاطة الآيات الكريمة التي حثت على الأخلاق الفاضلة ، وفي الفصل الثاني سأستعرض الآيات المباركة التي نهت عن الأخلاق الرديئة الرذيلة .

(للحديث بقية)

من نافذة التاريخ الإسلامي المشرق :

الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه

بقلم : معالي الأستاذ الدكتور راشد عبد الله الفرحان – الكويت

سبط رسول الله ﷺ ، أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ رضوان الله عليها وعلى ذريتها ، هو الأفضل للخلافة بعد مقتل أبيه الإمام علي ، بويع بالخلافة ، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ ، أقام في الكوفة يعاني الفتن والمؤامرات ، ولم يلبث أن اصطلح مع معاوية بن أبي سفيان ولي الشام ، وسلّم الأمر إليه ، وبايعه بالخلافة حقنا لدماء المسلمين وصلاحاً للأمة ، ثم عاد للمدينة المنورة ، بعد أن أمضى في الخلافة ستة أشهر ، وقد صدق فيه قول الرسول ﷺ (إن ابني هذا سيد ، ولعل الله يصلح به بين فئتين كبيرتين من المسلمين) (رواه البخاري) وقد أصلح الله به بين فئتين كبيرتين من المسلمين ، بين أهل العراق والشام ويروى أنه حج ماشياً خمساً وعشرين حجة ، وكان كريماً جواداً خرج عن ماله ثلاث مرات .

وما يقال عن الحسن بأنه مزواج ومطلاق ، وأنه تزوج أكثر من ثلثمائة زوجة ، فلا أصدقه ، وهو من الافتراءات عليه وعلى أبيه وأهل بيته ، فالذي يحج ماشياً تسع وعشرين مرة ، هل يصدر مثل ذلك الأمر ، لا ، ومثل ما افتري على الخليفة هارون الرشيد بأنه صاحب جواري كثيرات ، وخمر ونساء وراقصات ، وهو الذي يحج عاماً ويغزو عاماً ، فأين الوقت الذي يصرفه لمثل تلك الملذات .

ومثل ذلك ما افترى على صاحبي رسول الله ﷺ طلحة

والزبير من عداوتهما لعثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين ، وهما اللذان ماتا شهيدين في إثر المطالبة بدمه .

علاقته بالصحابة :

روى البخاري وغيره ، قال صلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه العصر ثم خرج يمشي ، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال : بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي وعلي يضحك ، يقول ابن حجر في فتح الباري : زاد الإسماعيلي في رواية ، بعد وفاة النبي ﷺ بليال ، وكان علي عليه السلام يمشي إلى جانبه ، حين حمل الحسن ، ثم يقول ابن حجر : وفي الحديث فضل أبي بكر ومحبته لقرابة النبي ﷺ .

لقد كانت علاقة أبي بكر بفاطمة وابنيها السبطين الحسن والحسين ، علاقة مودة ورحمة وصلة ، فلم ينقطع علي عن الصلاة خلف أبي بكر ، لا في عهد الرسول ولا بعد وفاته .

أما علاقة الحسن بعمر بن الخطاب ، فقد كان عمر شديد الإكرام لآل الرسول ﷺ وإيثارهم وتقديمهم على أبناء أسرته ، فقد سار على نهج أبي بكر ، فقد فرض للحسن والحسين مثل فريضة أهل بدر .

لما قال له ابنه عبد الله : لم فضلت على هذين الغلامين ، وأنت تعرف سبقي في الإسلام وهجرتي ؟ قال له : ويحك يا عبد الله ائتني بجد مثل جدهما ، وأب مثل أبيهما ، وأم مثل أمهما ، وجدة مثل جدتهما ، يعني بذلك خديجة ، أم المؤمنين .

أما علاقته بعثمان فهي استمرار لسياسة أبيه ، ووفاؤه له فقد وقف الحسن يدافع عن عثمان يوم الحصار ، ولما أقسم عثمان على الناس أن ينصرفوا فانصرفوا إلا الحسن بن علي

ومحمد بن طلحة ، وعبد الله بن الزبير، وكانت مدة الحصار أربعين يوماً ، ولما اشتد الحصار وطال إذن عثمان للحسن باللحاق بأبيه وأقسم عليه ، عدم القتال وكان الحسن يومها ماسكا سيفين للدفاع عن عثمان .

لقد كان الحسن جندياً مطيعاً في جيش عثمان يفتح معه البلاد وينشر معه الدين ، ولما ولي عبد الله بن أبي سرح طلب المدد من عثمان في غزو أفريقيا ، جهز الجنود ، وفيهم كبار الصحابة الذين أشاروا عليه بالحسن ، حتى ساروا مع عبد الله بن أبي سرح سنة ست وعشرين .

وقد ذكر أبو نعيم الأصبهاني أن الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما دخلا أصبهان غازيين إلى جرجان .

أولاده :

أعقب الحسن ستة عشر ولداً ، منهم أحد عشر ولداً ذكراً ، والبقية إناث ، ومن اللافت للنظر في أبناء الحسن وجود اسم أبي بكر وعمر وطلحة ، وأبو بكر هذا قتل مع الحسين في قتلى كربلاء ، ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد وتاريخ اليعقوبي في أولاد الحسن ، ومنتهى الآمال لعباس القمي .

ومن زوجات الحسن حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، ذكر ذلك الزواج التستري في تاريخ النبي والآل (١) .

ومن زوجاته أم إسحاق بنت طلحة بنت عبيد الله التيمي الذي قتله مروان بن الحكم ظلماً ، والتي أنجبت له طلحة ، وفاطمة ، والحسين .

---

(١) انظر أسمى المصاهرات بين أهل البيت والصحابة لأبي معاذ الإسماعيلي .

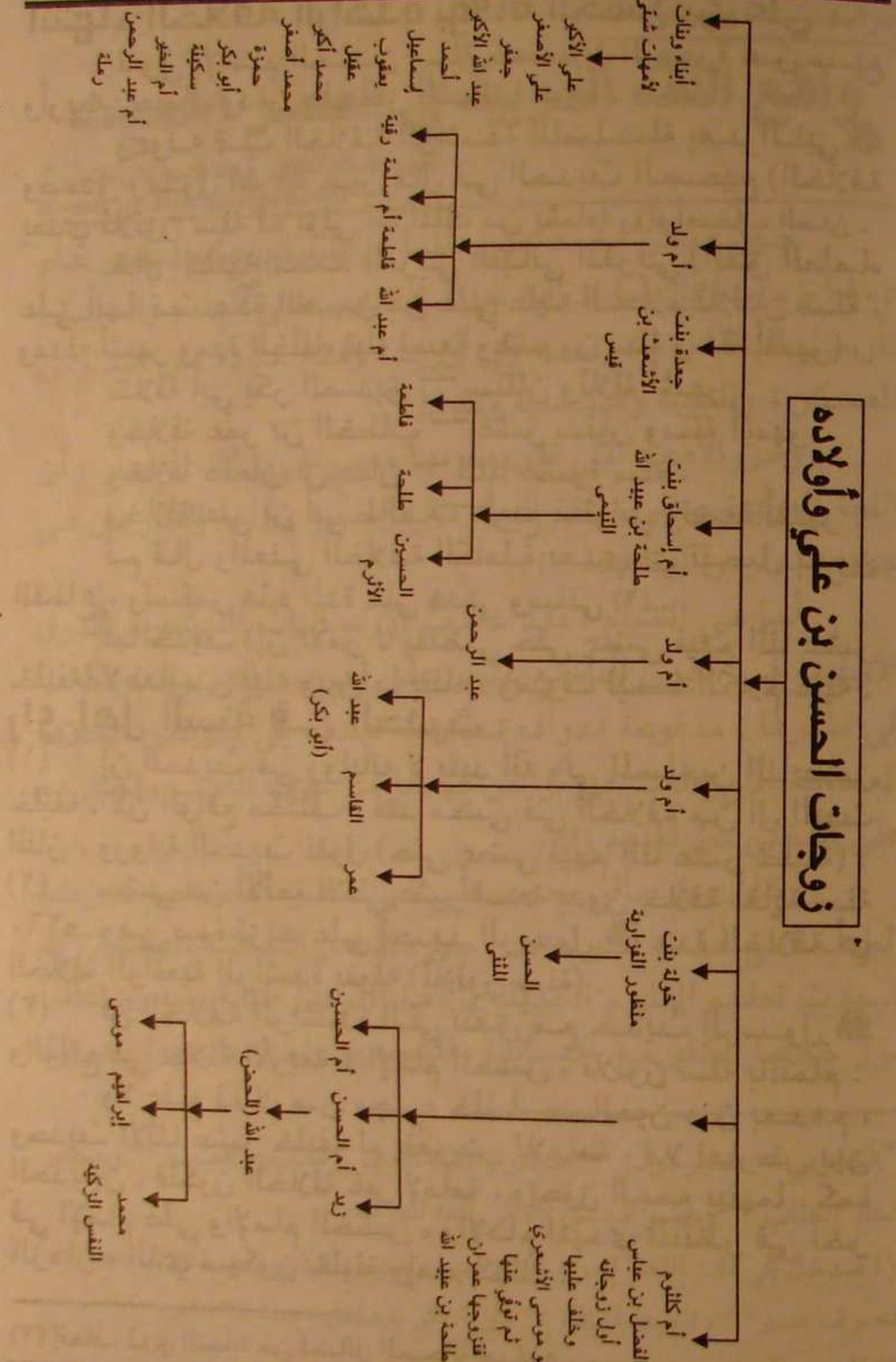

انتهاء الخلافة الراشدة بوفاة الحسن بن علي :

توفي الإمام الحسن سنة خمسين للهجرة عن سبع وأربعين عاما ، ودفن بالحجاز بالمدينة المنورة .

وعموته تمت الخلافة الراشدة المتسلسلة بعد النبي ﷺ وصدق رسول الله ﷺ حين قال في الحديث الصحيح (الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء) رواه أصحاب السنن .

قال الشيخ محمد العربي التباني المغربي (اتفق العلماء على أنها تمت بمدة الحسن بن علي عليه السلام ثلاثين سنة ، ومدته أشهر ومدة الخلفاء قبله تسعة وعشرون سنة وستة أشهر) .

خلافة أبي بكر الصديق — سنتان وثلاثة أشهر .
وخلافة عمر بن الخطاب — عشر سنين وستة أشهر .
وخلافة عثمان بن عفان — اثنتا عشرة سنة .
وخلافة علي بن أبي طالب — أربع سنوات وتسعة أشهر .

ثم قال والمعنى الخلافة الكاملة بعدي أي تتصل بدون انقطاع ، وتستمر هذه المدة على هديي وسنتي (٢) .

أما حديث (إن الأمر لا يقنضي حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة) لا تعارض بينه وبين ما بيناه ، وسوف نبسط الكلام عليه .

رأي أهل السنة في الحديث :

(١) إن الحديث في رواياته لا يفيد أنه ولي المسلمين اثنا عشر خليفة ، لأن الواقع مختلف ، فقد مضى في الخلافة من آل البيت اثنان ، ورواية الحديث تقول (حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة) .

(٢) مضى من الأئمة الاثني عشر تسعة بدون خلافة لغاية سنة ٢٦٠هـ وهي مدة تزيد على تحديد الرسول ﷺ مدة الخلافة أي الخلافة الواقعية الراشدة بقوله (ثلاثون سنة) .

(٣) أن الخلافة الراشدة التي تتفق مع حديث الرسول ﷺ والواقع هي خلافة الأربعة + الإمام الحسن ، ثلاثون سنة بالتمام .

ولا يمنع ذلك من مجيء خلفاء صالحين من بعدهم ، وحديث الاثنا عشر خليفة لم يتعرض للإمامة ، فلا تعارض بين الحديثين ، فتكون الخلافة غير الإمامة ، ويجوز الجمع بينهما ، كما في الإمام علي والإمام الحسن ، والإمام المهدي المنتظر في آخر الزمان ، الذي سيكون خليفة وإمام كذلك .

---

(٢) إتحاف ذوي النجابة من فضائل الصحابة ص/٥١ .

دراسات وأبحاث :

واقع اللغة العربية في العصر الحديث

بقلم : الأستاذ الدكتور محمد السيد علي بلاسي *
(E-mail: Dr- Plasy@maktoob.com)

حين قيض لمحمد علي باشا أن يتسلم حكم مصر عام ١٨٠٥م ، بدأ بإنشاء دولة حديثة تقوم على العلم والمدنية ؛ فأرسل البعثات الدراسية إلى أوربا ، وفتح عدداً من المدارس العسكرية والطبية والهندسية وغيرها .

ومن الأمور التي تفردت بها مصر في ذلك العصر : أن اللغة العربية صارت لغة الحكومة الرسمية ، ولغة التدريس في جميع المدارس الجديدة (١) .

أما في الشام ، فقد عملت الإرساليات التبشيرية للدول الأجنبية في القرن التاسع عشر على تدريس العربية ، وسعت إلى نشرها ؛ مدفوعة بدوافع سياسية تهدف إلى تقويض الخلافة العثمانية التي بالغت في أواخر عهدها في تتريك العرب وإجبارهم على التخلى عن لغتهم (٢) .

وكان من مآثر محمد علي في مصر : تأسيسه لمدرسة الطب التي عدت أكبر مظهر من مظاهر النهضة العلمية ؛ إذ شهدت تعليم العلوم الحديثة باللغة العربية طيلة سبعين عاما برز خلالها الكثير من الأساتذة والمترجمين الذين خدموا العربية

(*) أكاديمي — خبير دولي — عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية — وعضو اتحاد الكتاب — وعضو المجلس العالمي للغة العربية .

(١) مدخل إلى فقه اللغة العربية : د. أحمد محمد قدور ، ص/١٥٤ ، ١٥٥ — بتصرف يسير — ، الطبعة الثالثة — دار الفكر بدمشق ، سنة ١٤٢٤هـ .

(٢) المرجع السابق : ص/١٥٥ ، ١٥٦ .

خدمات جليلة .

وقد كانت هذه المدرسة التي أسست عام ١٨٣٦م ، معلماً بارزاً في ابتعاث العربية الفصحى وتطويعها ؛ لاستيعاب العلوم الحديثة ومصطلحاتها بعد ذلك الانقطاع الطويل بين الفصحى والعلم عصوراً متتابعة .

ولا بد من الإشارة إلى تلك الحماسة التي كانت تملأ النفوس ، والإخلاص الذي كان يعمر القلوب لدى أولئك النفر من العلماء الذين كانوا روّاد نقل العلوم الحديثة إلى لغتنا .

غير أن الإنجليز حين احتلوا مصر عام ١٨٨٣م سارعوا إلى جعل التدريس في مدرسة الطب بالإنجليزية ؛ وكان ذلك انتكاساً أصاب العربية الناهضة آنئذ (٣) .

وإن من يراجع الوثائق التي بدأت بها عميلة الاحتلال البريطاني لمصر ؛ يكشف أن أول أعمال الاحتلال هو وضع خطة لتحطيم اللغة .

يبدو ذلك واضحاً في تقرير (لورد دوفرين) عام ١٨٨٢م ، حين قال : "إن أمل التقدم ضعيف (في مصر) ما دامت العامة تتعلم اللغة العربية الفصيحة" .

وقد توالت هذه الحرب ليس في مصر وحدها ، بل في الشام والمغرب بأقطاره كلها في محاولات قدمها (كرومر) و (بلنت) من ناحية ، و (لويس ماسينيون) و (كولان) في المغرب من ناحية أخرى (٤) .

---

(٣) نفس المرجع : ص/١٥٥ .

وينظر : المصطلحات العلمية في اللغة العربية : مصطفى الشهابي ، ص/٤٣ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، سنة ١٩٨٨م .

(٤) مقومات العالمية في اللغة العربية وتحدياتها في عصر العولمة : د. عبد الرزاق *

وكان التعليم في البلاد الغربية المحتلة يتم كله باللغات الأجنبية : (الإنجليزية : في مصر والسودان والعراق) ، و (الفرنسية : في سورية وتونس والجزائر والمغرب) ؛ فقد كانت خطة النفوذ الأجنبي ترمي إلى :

أولاً : تحويل أبجدية اللغات الإقليمية إلى اللاتينية ، وكانت تكتب أساساً بالحروف العربية .

ثانياً : تقديم اللغات الأجنبية في الأقطار الإسلامية على اللغة العربية .

ثالثاً : تقديم اللهجات واللغات المحلية وتشجيعها والدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية .

رابعاً : ابتعاث إلى دول الغرب لدراسة لغاته ، وكان ذلك إيماناً بأن اللغة هي الوجه الثاني للفكر ، وأن من يجيد لغته لا بد أن يعجب بتاريخها وفكرها ويصير له انتماء من نوع ما إلى هذه الأمة (٥) .

هذا ؛ وكانت الحملة على اللغة العربية الفصحى من خلال حجج ضعيفة واهية منها : صعوبة اللغة ، ومنها التفاوت بينها وبين العامية ، وكانٍ فرض اللغات الأجنبية من مختلف أقطار الأمة الإسلامية عاملاً هاماً في فرض ثقافاتها ووجهة نظر أهلها ، والوقوف موقف الإعجاب بالغاصب والعجز عن مواجهته ، ومن يدرس تجارب التعليم الغربي في البلاد العربية يجد الولاء الواضح للنفوذ الغربي (٦) !

---

* عبد الرحمن السعدي ، ص/٥٥ ، (بحث منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد الثالث والثلاثون ، شوال ١٤٢٩هـ ، الناشر : مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي) .

(٥) مقومات العالمية في اللغة العربية وتحدياتها في عصر العولمة : ص/٥٥ .

(٦) المرجع السابق : ص/٥٥ ، ٥٦ .

غير أن العربية الفصحى في هذا العصر استطاعت أن تقاوم بطبيعتها القوية النامية وباستنادها إلى تراث روحي وأدبي، جملة من المشكلات والعوائق التي عملت على إزاحتها عن الحياة.

وهكذا صارت دعوات تغيير الحروف العربية والاستعاضة عنها باللاتينية، ومحاولات مسخ العربية بادعاء أن العاميات هي أصدق تمثيلاً للحياة من الفصحى، ونزعات التتريك والفرنجة ونحوها — أثراً بعد عين، ولم يعد لهذه الافتراءات من أنصار باستثناء بعض العملاء الذين ارتضوا أن يكونوا أذناباً للاستعمار ينفذون مؤامراته على الأمة العربية؛ غدراً بحضارتها، وطعناً بلغتها، وهدماً لمقوماتها، وهم في كل هذا مخفقون لا محالة (٧).

وكان من حصاد هذه المرحلة الموّارة بالحماسة العربية: تأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩١٩م، وإنشاء معهدى الطب والحقوق اللذين شكلا نواة الجامعة السورية (جامعة دمشق الآن)، وكان شرط الحكومة في تسمية الأساتذة أن يحسنوا التدريس باللغة العربية؛ لأنها اللغة الرسمية للجامعة (٨).

لذلك اطرد الاهتمام الرسمي بالعربية الفصحى؛ فأنشئ مجمع اللغة العربية في مصر (مجمع الخالدين) عام ١٩٣٢م، بعد محاولات فردية سعت إلى تأليف لجان ومجامع لرعاية العربية وتطويرها، وأنشئ بعد ذلك للمجمع العلمي العراقي في بغداد عام ١٩٤٧م؛ للعناية بسلامة اللغة وجعلها وافية بمطالب التعليم والحياة الحاضرة.

وتوالى بعد ذلك إنشاء الجامعات والمراكز العلمية واللغوية التي أخذت على عاتقها مهمة حماية اللغة وتطويرها، ومن أهم

(٧) مدخل إلى فقه اللغة العربية: ص/١٥٩.

(٨) المرجع السابق: ص/١٥٧، ١٥٨.

ذلك: إنشاء مكتب تنسيق التعريب في الرباط عام ١٩٦١م، وتأسيس مجمع اللغة العربية الأردني في عمّان عام ١٩٧٦م، ومن بعد مجامع اللغة في كل من السودان وليبيا والجزائر (٩).

وعن لغة التقنية والعلوم:

على أنه ينبغي أن تتواصل الجهود لتحديث اللغة العربية اصطلاحاً وتقنية حتى تواكب هذا التسارع الهائل في العلوم المستحدثة في العالم، لا سيما علوم الحاسوب والاتصال والإعلام؛ فلا خوف الآن على لغة الأدب؛ لأن تراثنا الأدبي القديم ونتاجنا الجديد يدعمانها ويعملان على ترقيتها باستمرار، أما لغة العلم فليست على حال مرضية؛ لأسباب كثيرة أهما (١٠):

١- بطء حركة التعريب، لا سيما تعريب الطب والهندسة، فمع أن الدساتير العربية الحديثة أقرت العربية للدولة والحياة في كل مجال، إلا أن معظم الجامعات العربية استمرت على تدريس الطب والعلوم والهندسة ونحوها باللغات الأجنبية، لا سيما بالإنجليزية.

٢- الافتقار إلى المصطلحات المناسبة لنقل العلوم والهندسة ونحوها من الجوانب العلمية المتعددة، والاختلاف حول ما هو موجود، فمع الاتفاق الظاهري المعلن في المؤتمرات العلمية واللغوية، بقيت فوضى المصطلحات العلمية وغيرها تعصف بالكتب التعليمية والرسائل الجامعة ومن قطر إلى آخر دون أن تكون هناك رقابة حقيقية على الالتزام بالمصطلحات الموحدة

(٩) نفس المرجع: ص/١٥٨ — بتصرف.

(١٠) مدخل إلى فقه اللغة العربية: ص/١٥٩ — ١٦١، — باختصار —.

والمتفق عليها .

٣- قلة المراجع العلمية العربية المؤلفة والمترجمة ، وتباطؤ الجهود المبذولة في هذا المجال .

لقد كانت بداية التعريب نهضة حقيقية للتأليف العلمي الحديث في اللغة العربية ، ويكفى المرء أن يلم بأسماء المؤلفات التي وضعها أو ترجمها أساتذة الطب والعلوم والقانون في دمشق منذ عام ١٩١٩م ؛ ليقف على مبلغ ذلك النشاط العلمي والمثمر ، لكن ظروفاً مادية ومعنوية جعلت المتخصصين في الجامعات العربية عامة ينصرفون عن التأليف الجاد والترجمة والمتابعة إلى الوفاء بمتطلبات التعليم الآنية .

٤- تقصير الجامعات والهيئات العلمية المختصة في إحياء تراث العرب العلمي ، وتدريس الصالح منه ، وتقديم معلومات وافية عن تاريخ العلوم عند العرب ، وجعلها مقررات دراسية تشمل كافة الفروع .

والحق أن معظم الجامعات العربية بدأت تسعى لتلافي ما ذكرنا من قصور ؛ حيث إن آفاق التعريب أضحت تتوسع باطراد ؛ نظراً لأن الإرادة القومية تبعث فيها المزيد من القوة باستمرار ، ولم يعد جعل العربية وسيلة كل مختص للتعبير عن عمله شعاراً ، بل واقعاً يرجى ترسيخه والبناء على أساسه بإخلاص (١١) .

---

(١١) المرجع السابق : ص/١٦١ ، ١٦٢ .

****

العلامة سيد سليمان الندوي أديبا وشاعرا

بقلم : الدكتور الأستاذ محمد قطب الدين الندوي
(أستاذ مساعد ، مركز الدراسات العربية والإفريقية جامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلي)

أنجبت الهند رجالات نادرة وشخصيات فذّة لعبت دوراً بارزاً في ترويج اللغة العربية وآدابها ، فبعد الدراسة الموسّعة نجد عدداً كبيراً من الأدباء والشعراء والكتاب والمؤلفين والدارسين والباحثين والمثقفين والصحفيين الذين قدموا مساهمات ملموسة لا يستهان بقيمتها في نشر اللغة العربية في الهند وإثراء المكتبات العربية ، والعالم الإسلامي مدين لهؤلاء الأبطال الهنود بالشكر لخدماتهم الخالدة ومآثرهم الرائعة واعترف بفضلهم الجميع حتى العرب ، فمن أعلام اللغة العربية هؤلاء في الهند العلامة سيد سليمان الندوي ولد في قرية داسنا (Dasna) بولاية بيهار عام ١٨٨٤م ونشأ وترعرع في البيئة المشحونة بالعلم والأدب والصلاح والتقوى .

أديبنا وشاعرنا هذا حصل على التعليم الابتدائي في كتّاب قريته ثم سافر إلى قرية فولواري (Phulwari) في ولاية بيهار في عام ١٨٩٨م حيث مكث عاما كاملا ودرس بعض المناهج الدراسية ، ثم في عام ١٨٩٩م غادر إلى المدرسة الإمدادية في دربنجا (Darbhanga) في ولاية بيهار ، التي أسسها الشيخ الحاج إمداد الله المهاجر المكي متأثراً بحركة ندوة العلماء لإصلاح المقررات الدراسية المتداولة في المدارس الإسلامية الدينية في الهند آنذاك ، ودرس هناك "الهداية" في الفقه و "شرح التهذيب" في المنطق واشترك في جميع النشاطات العلمية والأدبية سواء كانت خطابية أو كتابية ، وهكذا تدرب على الخطابة والكتابة ، وفي عام ١٩٠١م شدّ الرحال إلى مدينة لكناؤ بولاية أترا براديش ، الهند ، والتحق بدار العلوم لندوة العلماء حيث تلمذ على كبار أساتذة الفن

وعكف على الدراسة العليا ونهل من منهل ندوة العلماء العلمية وشفى غليلة العلمي حتى نال الشهادة العلمية (١) .

كان من أساتذته للغة العربية العلامة فاروق الجرياكوتي والعلامة سيد عبد الحي الحسني والعلامة شبلي النعماني فتعلم من بعضهم أسلوب المتأخرين ومن البعض الآخر أسلوب المتقدمين حتى تضلع بكلا الأسلوبين كما يشير إلى ذلك العلامة الندوي بنفسه قائلاً : "تعلمت الأدب العربي على العلامة فاروق الجرياكوتي والعلامة سيد عبد الحي الحسني ، وكانا متبعين لأساليب المتأخرين ، وكان من فضل العلامة شبلي أن قرأت عليه (دلائل الإعجاز) للجرجاني ، فاطلعت على الكتابات الأدبية للمتقدمين ، وقرأتها بكل رغبة وشوق وقلدتها واتجهت إلى الكتابة والطباعة العربية ، وألهب كتابا (ديوان الحماسة) و (نقد الشعر) هذا الذوق عندي ، وبدأت أقرض الشعر" (٢) ، هؤلاء الأساتذة كانوا جامعين بين العلم والأدب وسعة الفكر ودقة النظر ونابغين في فنونهم الخاصة .

استفاد العلامة الندوي من بيئة ندوة العلماء العلمية والأدبية وبصفة خاصة من وجود العلامة شبلي في ندوة العلماء حيث أتت إليه الصحف والجرائد والمجلات العربية من مصر والشام ، والعلامة شبلي شجع الطلاب على متابعتها ، فكان العلامة الندوي يتابعها بالمواظبة حتى أصبح متضلعاً باللغة العربية المعاصرة .

كتب العلامة الندوي باللغة العربية الفصحى بأسلوب عصري شيق ونشر مقالاته العربية في مجلة "البيان" الصادرة

(١) السيد سليمان الندوي ، أمير علماء الهند في عصره وشيخ الندويين ، تأليف : د/محمد أكرم الندوي ص/٣٥ — ٣٨ .

(٢) الكتب التي لها منة على العلماء الأعلام ، ص/١٨ ، منقولاً عن الكتاب "السيد سليمان الندوي ، أمير علماء الهند في عصره وشيخ الندويين ص/١٧٧ .

في لكناؤ ومجلة "المنار" الصادرة في مصر ومجلة "الضياء" الصادرة في لكناؤ ، الهند (٣) .

وبما أن اللغة الأردية كانت لغة المسلمين عامة في شبه القارة الهندية آنذاك اختار العلامة الندوي اللغة الأردية لأعماله ونشاطاته العلمية والأدبية لإفادة الهنود فكتب عديداً من الكتب القيمة في اللغة الأردية من أمثال "خيام" و "عرب وهند كے تعلقات" (العلاقات بين الهند والعرب) و "عربوں كي جهاز راني" (الملاحة عند العرب) و "الإمام مالك" و "سيرة عائشة رضي الله عنها" و "تاريخ أرض القرآن وخطبات مدراس (الرسالة المحمدية) و "سيرة النبي" .

وفي ضوء دراسة المؤلفات المذكورة نشعر بأن العلامة الندوي كان أكبر مؤرخ وأبرز باحث ومحقق لزمنه ، ومؤلفاته قيمة ونادرة في الموضوع ، وفي رأي الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي : هذه الكتب "خير نماذج للكتابة في التاريخ والبحث العلمي ، وكتابه "أرض القرآن" لا يزال كتاباً فريداً لم ينسج على منواله في موضوعه ، وهو ثروة غنية في المواد العلمية" (٤) ، واعترافاً لتفوق العلامة الندوي العلمي والبحثي والأكاديمي ومعجباً بعلمه وفضله يضيف الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي قائلاً : "أعتقد أنه لم يكن في العلماء المعاصرين وعلى الأقل في خريجي المدارس الدينية في الهند من عاش معركة العقل والقلب والقديم والجديد والشرق والغرب والدين والأدب أو الدين والفلسفة مثل ما عاشها أستاذنا العلامة الذي كان من خريجي دار العلوم ندوة العلماء ، ومؤلف "سيرة النبي" — ﷺ — وسياسيا خبيراً وأديباً بصيراً ، تجول في أوربا ، وكان سقى شجرة العلم بنبعه الفياض واستظل بظلها الظليل سنين

(٣) السيد سليمان الندوي ، أمير علماء الهند في عصره وشيخ الندويين ص/١٧٨ .

(٤) شخصيات وكتب ، لأبي الحسن علي الحسني الندوي ، ص/٧١ .

طوالاً ، وتناول موضوع التاريخ ، وتحدث عن فلسفة مد العلم وجزره ، وتطوره وانحطاطه ، ولكن قلبه السليم وروحه الوثابة كانت تشهد (وإن كان تلاميذه المعجبون بعلمه وكتاباته لا يقرون بأنه كان في حاجة إلى مزيد جديد) بأنه لم ينهل بعد من نميره الصافي الفياض ، وكانت مؤلفاته وخاصة "خطبات مدراس" (الرسالة للحمدية) و "سيرة النبي" و "سيرة عائشة" قد أذكت في قلوب آلاف من الناس شعلة الإيمان ، فذاقوا حلاوته ، ولكن همته البعيدة وعزمه وطموحه كان يحثه على البحث عن تلك المنزلة التي عبرعنها الحديث الشريف بالإحسان ، والقرآن الكريم بالتزكية" (٥) .

ومن أعماله الرائعة في اللغة الأردية تأليفه المشهور "خطبات مدراس" ، وبالنظر إلى أهمية الموضوع الذي يناقش رسالة النبي ﷺ نقله الأستاذ محمد ناظم الندوي من الأردية إلى العربية الفصحى وأسماه "الرسالة المحمدية" (*) ، يحتوي الكتاب على ثماني محاضرات في السيرة النبوية الشريفة ورسالة الإسلام السمحة ، ألقاها العلامة الندوي في جامعة مدراس بالهند ، وفيما بعد نُشرت المحاضرات في شكل الكتاب ثم أدخل هذا الكتاب في المقررات الدراسية في بعض المدارس من ولايات الهند المختلفة كما نقل هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية أيضاً ، وتقديماً على هذا الكتاب يصرح العلامة سيد سليمان الندوي بنفسه ميزات هذه المحاضرات وأهميتها والترحيب بها من قبل المستمعين قائلاً ما يفيد : "هذه ثماني خطب في ثماني نواح من السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والتحية ، ألقيتها سنة ١٣٤٤هـ باللغة الأوردية - لغة عامة الهند - على جماعات من شباب المسلمين وطلبة الكليات في مدينة مدراس بالهند ، فاستمع لها

(٥) شخصيات وكتب : ص/٧٥ .

(*) وقد ترجم هذا الكتاب الأخ الفاضل محمد رحمة الله الندوي أيضاً من جديد باسم : الرسالة للحمدية وقام بتخريج الأحاديث ، والتعليق ، فأحسن وأجاد .

الحاضرون بآذان صاغية وتلقاها المستمعون بقلوب واعية ، وقرّظتها الصحف والمجلات بكلمات مشجعة ، وامتدحها أهل الفضل بالثناء والإطراء ، وجزاهم الله خيراً ، وكان ذلك مما شجعني على طبعها ونشرها ، فطبعت ونشرت مرات وأدخلت في مناهج التعليم في بعض الولايات ، ثم نقلها بعض المترجمين إلى الإنكليزية فعم نفعها ، وقد أحببت أن أنقلها إلى العربية لترد البضاعة إلى أهلها ، فلم يتيسر لي ذلك لكثرة المشاغل ، فرغبت إلى بعض أصحابي أن يكفوني مؤنة النقل ، فاستجاب لذلك الأخ الصالح الأديب الفاضل محمد ناظم الندوي ، أستاذ اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء سابقاً وشيخ الجامعة العباسة في بهاولبور الآن" (٦) .

للحاضرة الأولى عنوانها "سيرة الأنبياء هي الأسوة الحسنة للبشر" وللمحاضرة الثانية تتمثل : في أن السيرة للحمدية هي العامة الخالدة ، وللمحاضرة الثالثة تشمل : السيرة للحمدية من الناحية التاريخية ، وللمحاضرة الرابعة تحوي : السيرة للحمدية من ناحية كمالها وتمامها وشمولها ، وللمحاضرة الخامسة تشتمل على : السيرة للحمدية من ناحيتها الجامعة ، وللمحاضرة السادسة تعالج : الناحية العلمية من السيرة للحمدية ، وللمحاضرة السابعة تسلط الضوء على : رسالة رسول الإسلام إلى جميع الأنام ، وللمحاضرة الثامنة تناقش : السيرة للحمدية من الناحية العملية" (٧) .

ومن نماذج هذه المحاضرات الرائعة : "أن العالم لا يضل ولا يغوي ولا يرشد ولا يهدي ولكن الإنسان هو الذي يهتدي بسليم فطرته وسديد رأيه وسلامة قلبه أو يضل بسوء تفكيره وخطل رأيه وقبح تأمله ، وإن شئت قلت : إن العالم يهدي من

(٦) الرسالة للحمدية ، ص/١٣ — وقد توفي الشيخ الأديب محمد ناظم الندوي في ٩/ يونيو ٢٠٠٠م .

(٧) نفس المصدر ، ص/٢٦٢ — ٢٥٩ .

يهتدي به ويضل من يضل به ، وما أنزل الله من كتبه - التوراة والإنجيل والقرآن - يهدي الذين يحسنون تدبره وتلاوته فتطمئن قلوبهم إلى ما فيه من حق ، ويؤمنون به ، وآخرون يتلون ما أنزل الله من حق فيزدادون ريباً به ولا تسكن نفوسهم إليه فيجحدون ويكفرون ، مع أن الكلام واحد ، إلا أن تأثيره في القلوب مختلف ؛ فيخرج هذا منه مؤمناً به ، ويخرج ذاك منه كافراً به ، وكلاهما من خلق الله الواحد ، والذي يستنتج من كثرة الأفعال وتعددها واختلافها كثرة الفاعلين فقد أخطأ ، وأن بيد الله تعالى الخير والشر والهداية والضلال ، وكل ما ترى في الكون وفي الناس من ضروب العجائب وأنواع الغرائب فهي من بديع السماوات والأرض وجميل صنعته وعظيم قدرته ، فهو الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له" (٨) .

ومن مآثر العلامة الندوي العلمية الخالدة في اللغة الأردية تأليفه القيم المشهور حول السيرة النبوية التي تم تكميل المجلدين الأولين لـ "سيرة النبي" على يد أستاذه العلامة شبلي النعماني وأكمل للمجلدات الخمسة الباقية العلامة سيد سليمان الندوي ، سلك العلامة الندوي نفس المسلك الذي سلكه أستاذه العلامة شبلي النعماني في كتابة السيرة النبوية وبالتالي أخرج السيرة من نطاق ضيق إلى نطاق واسع ، ونهج منهجاً جديداً علمياً يحتذى به ، ومعجباً بهذا العمل الجليل يكتب الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي : "لم يكن العلامة سيد سليمان الندوي من كبار المؤلفين في السيرة النبوية لعصره فحسب ، بل كان من أبرز المؤلفين في السيرة والتاريخ الإسلامي بكامله ، وقد كان من مزاياه أنه وسع نطاق السيرة من سرد الأحداث وبيان الشمائل ووصف العادات ، إلى الرسالة المحمدية والتعليمات النبوية والشريعة الإسلامية ، وبحث شعبها المختلفة ، وبهذا المنهج المنفرد الموسع الذي سلكه

(٨) نفس المصدر ، ص/٣٣٩ .

أستاذه العلامة شبلي النعماني في المجلدين الأولين للسيرة النبوية وسلكه العلامة سيد سليمان الندوي في المجلدات الخمسة الباقية ، أصبح الكتاب موسوعة للسيرة لا يوجد لها نظير في أي لغة من لغات المسلمين في العالم" (٩) ، والجدير بالذكر أن معظم مؤلفات العلامة الندوي الأردية نقلت إلى اللغة العربية الفصحى ويستفيد منها الباحثون والأكاديميون الناطقون باللغة العربية .

يعتبر العلامة الندوي شخصية جامعة موسوعية قل أن يجود الزمان بمثلها ، إنه كان جامعاً بين العلوم القديمة والجديدة ، ولم يكن العلامة الندوي مؤرخاً كبيراً وأديباً بارعاً وناقداً ومحققاً كبيراً فحسب بل كان فقيهاً ومحدثاً ومعلماً وممثلاً جليلاً للفكرة الإسلامية في الهند وخطيباً مصقعاً تصغي إليه الآذان وتهفو إليه القلوب وتنجذب إليه الأنظار في آن واحد .

ونظراً إلى مؤلفاته الكثيرة القيمة وشخصيته الجامعة يكتب الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي قائلاً : "وبالنظر إلى هذه المؤلفات القيمة يمكن أن يصدر الحكم بأن شخصاً واحداً في بعض الظروف ينجز من أعمال علمية هائلة لا تستطيع الأكاديميات الكبيرة إنجازها ، وقد كتب شاعر الإسلام العلامة محمد إقبال الذي كان بدوره عالماً كبيراً للفلسفة والعلوم الشرقية ، في رسالة له "إن سيد سليمان الندوي يفجر من الصخرة ينبوعاً من العلم ، ويمتلك ناصية العلوم الإسلامية" ، كان من مزايا شخصية سيد سليمان الندوي الجامعية والشمول في المعرفة والبحث ، فقد كان خبيراً بالعلوم القديمة والعصرية ، وكان مؤرخاً وأديباً وناقداً ومحققاً ، وبجانب ذلك كان فقيهاً ومحدثاً في آن واحد" (١٠) .

(٩) شخصيات وكتب ، ص/٦٩ .
(١٠) شخصيات وكتب ص/٧١ .

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

ومع تضلعه باللغة الأردية وآدابها لم يغمض العلامة الندوي عينه عن اللغة العربية وآدابها بل تمكن من الكتابة والقراءة والنطق مثل العرب ، وكان له مقدرة تامة في الخطابة الارتجالية في اللغة العربية حول أي موضوع من المواضيع وكان يتميز بها بين أقرانه كما يكشف لنا هذه الميزة له الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي قائلاً : "وكان أول ما عرف الناس ميزته بين أقرانه هو ارتجاله لخطبة عربية أمام جمع محترم من المثقفين في حفلة ندوة العلماء السنوية الكبيرة حيث طلب منه أحد القائمين بالحفل أن يخاطب الجمهور باللغة العربية ، وهي لغة بعيدة شديدة البعد آنئذ عن أن تكون لغة كلام مرتجل في الهند لعدم ملائمة الجو ، وقلة ورود المطبوعات العربية إلى الهند في ذلك الوقت ، فلم تكن تنشأ الملكات العلمية والأدبية فيها إلا قليلا ، ولكن الفتى السيد سليمان الندوي استجاب للطلب وارتجل الخطاب بالعربية ، ونال التقدير والإعجاب من الحاضرين ، وقد بلغ ذلك سرور أستاذه الخاص العلامة شبلي النعماني مبلغاً عظيماً وخلع عمامته ووضعها على رأس تلميذه كرمز تقديري لنبوغه" (١١) .

كان العلامة السيد سليمان الندوي يعد علماً من أعلام اللغة العربية في الهند ، وأعماله النثرية في هذا المجال كثيرة كثيرة ، فمن أعماله العربية كتابه المشهور المهم "الدليل على المولد والدخيل" الذي : "يحتوي على ما تولد من الصيغ والألفاظ في اللغة العربية وما دخل فيها من الكلمات من اللغات الأجنبية وهي متداولة على الألسنة والجرائد والمصنفات الحديثة وعلى مقدمة يشرح حقيقة التولد والدخول ، وذيل يبين اللغات التي

(١١) ملحق الرائد للأدب الإسلامي ، ص/٢٨ .

اقتبست منه العربية ونوعية ما اقتبسته" (١٢) .

جمع المؤلف الكلمات المتولدة والدخيلة في هذا الكتاب ويحمل الكتاب بين دفتيه شرحاً وتحقيقاً لحوالي أربعة آلاف كلمة عربية متداولة في زمن المؤلف ، وكان لا يمكن لدارسي اللغة العربية أن يتصفحوا الصحف والجرائد والمجلات والمصنفات والمؤلفات العربية الحديثة بدون العثور على تلك الكلمات العربية الحديثة المتداولة بين الناس ، فيعتبر هذا الكتاب من جلائل أعمال المؤلف في مجال اللغة العربية الأدبية .

وهناك كتاب آخر أسماه "دروس الأدب" الذي يدل على مؤهلات العلامة الندوي في مجال اللغة العربية وإعداد الدروس التي تساعد الطلاب في تعلم اللغة العربية ، فهذا الكتاب هو السلسلة الأولى من تأليفات ندوة العلماء في مجال اللغة العربية والأدب العربي ، هذا الكتاب صغير الحجم كبير الأهمية ومفيد للغاية للمعلمين والمتعلمين على حد سواء ، وذلك لأنه من رشحات قلم شخص متضلع باللغة العربية وآدابها كما هو خبير بنفسية اللغة وطبيعتها .

قام العلامة الندوي بتأليف هذا الكتاب تلبية لحاجات الطلاب الدارسين للمقررات الدراسية لدار العلوم بندوة العلماء كما يشير المؤلف نفسه قائلاً : فلما تأسست ندوة العلماء وأقيم معهدها العلمي الكبير رجحت في نصاب تعاليمها كفة الأدب ولكنها لم تجد مختصرات في الأدب يسهل على الصبيان تناولها ويتمكنوا بها من المخاطبة في العربية ، فبذلت مجهودها في تأليف مختصرات أدبية تفي بمطلوبها وتسعف بحاجتها فهذا الكتاب حلقتها الأولى وتليها الأخرى" (١٣) .

يشتمل هذا الكتاب على بابين ، فالباب الأول في المفردات

(١٢) بيان عن الكتاب وهو مكتوب على غلاف الكتاب في البداية .

(١٣) مقدمة الكتاب ، دروس الأدب ، الجزء الأول .

والباب الثاني في الجمل ، فأصبح هذا الكتاب مفيداً للمبتدئين الناشئين حيث يمكن لهم حفظ المفردات العربية والإطلاع على الجمل والكلمات العربية المستحدثة بغاية من السهولة .

ومن أعماله النثرية العربية الجليلة إصدار مجلة "الضياء" العربية من ندوة العلماء ، لكناؤ ، الهند العربية عام ١٩٣٢م ، كتب العلامة افتتاحياتها العلمية والأدبية القيمة إلى جانب كتابة المقالات العربية في شتى الموضوعات ، "وبرع العلامة الندوي في لغات عصره وبخاصة اللغة الأردية ، وهي لغة بلاده العلمية والأدبية ، وفي اللغة العربية وهي لغة العلوم الإسلامية ، وكان يجيد التعبير ويحسن الأداء بهما جميعاً ، وكان يختلف في ذلك عن غالبية العلماء المعاصرين له بحيث إنهم لم يكونوا يختارون العربية كأداة لهم ، وقلما كان يسعهم ذلك ، بل إنما كانوا يكتفون بالتعبير باللغة الأردية ، وذلك أيضاً بأسلوب علمي متزمت" (١٤) ، ويضيف الأستاذ محمد الرابع الحسني عن العلامة الندوي قائلاً : "ولكنه لم يترك اللغة العربية أيضاً بل اختارها لعدد من أعماله بكفاءة وإحسان ، ولم يدخل علمه فيها من الوضوح والروعة والاتزان ، فقد ظهر فيها أيضاً كرجل كفء قدير قلما كان يظهر مثله من أعلام العلم والفكر في زمنه" (١٥) .

كان يؤمن العلامة الندوي بأن اللغة العربية هي التي تلعب دوراً أساسياً ق توحيد المسلمين على اختلاف البلدان والقرى والحضارات والثقافات ، ولذا كان يحث أبناء المسلمين الهنود على تعليم اللغة العربية وتعلمها والتكلم بها فهو يقول : "هذه بلادنا الهند فيها نحو ثمانين مليوناً من المسلمين ، وفيها نحو مليون ممن يفهم لغة القرآن ويعرفها وإن لم يكن لهم قدرة على التكلم بها ، وتقدر مدارسهم العربية بألف بين صغارها وكبارها ، وطلبة العربية فيها نحو مائة ألف أو يزيدون ، وعل ذلك فإن مما

(١٤) ملحق الرائد للأدب الإسلامي ، ص/٢٩ .
(١٥) نفس المصدر .

يؤلمنا ذكره ويشوكنا نشره أن هؤلاء الجم الغفير والعدد الوفير أكثرهم بكم عن التكلم باللغة العربية ولهم عي في الكتابة البديعة السلسلة المنسجمة فضلاً عن الخطابة فيها مرتجلين وليست كتابتهم إلا في أمور طفيفة أو أبحاث سمجة من المنطق تمجها الآذان ، لا تسمن ولا تغني من بدع العلم" (١٦) .

كان العلامة الندوي يكتب في موضوعات شتى حسب مقتضيات الأوضاع فكان يكتب في موضوع راهن في حين وحيناً آخر كتب تراجم الشخصيات البارزة بأسلوب سهل ممتنع ، فمثلاً كتب مقدمة لكتاب "الإمعان في أقسام القرآن" للمفسر الهندي الكبير الأستاذ عبد الحميد الفراهي وقام العلامة الندوي بتعريف الكتاب ومؤلفه بأسلوب يجذب القلوب ولا يمل القارئ أثناء قراءته لهذه المقدمة ، هنا أذكر من نماذج كتاباته لكي نقدرها ونقيمها أسلوباً ومعناً ، فتقديماً على الكتاب المذكور يكتب العلامة الندوي : "(الدنيا دار العجائب ، ومن أعجب عجائبها وقوع ما كنت تحذر منه ، وحدوث ما لم يخطر ببالك) ، بعثنا هذه الرسالة للطبع وصاحبها حي يرزق فلم يمض شهر حتى فوجئنا بانخرام حياته ، وكان — رحمه الله — آية من آيات الله في حدة الذهن وكثرة الفضل وسعة العلم ودماثة الخلق وسداد الرأي والزهد في الدنيا والرغبة في طلب مرضاة الله تعالى ، هو حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد الأنصاري الفراهي ، ولد رحمه الله سنة ١٢٨١هـ في قرية فريها من قرى مديرية (أعظم كره) في الولايات المتحدة بالهند ، وكان إبن خال علامة الشرق ومؤرخ الإسلام الشيخ شبلي النعماني ، وتغمده الله برحمته ، واشتغل بعد ما ترعرع في طلب العلم فحفظ القرآن الكريم وقرأ كدأب أبناء العائلات الشريفة في الهند اللغة الفارسية وبرع فيها ، فنسج قصيدة فارسية صعبة الرديف بارى فيها شاعر الفارسية الطائر

(١٦) أعلام الأدب العربي في الهند ص/١٧٢ .

الصيت خاقاني الشرواني ، فأتى فيها بما أعجب الشعراء ، واشتغل بعد ذلك بطلب العربية ، فاستظل بعطف أخيه الشيخ شبلي النعماني ، وكان أكبر منه بست سنين ، فأخذ عنه العلوم العربية كلها من صرفها ونحوها ولغتها وأدبها ومنطقها وفلسفتها ، ثم سافر إلى لكناؤ مدينة علم الولايات المتحدة ةجلس في حلقة الفقيه للحدث الإمام الشيخ أبي الحسنات عبد الحي اللكنوي صاحب التصانيف المشهورة ، ثم ارتحل إلى لاهور وأخذ الأدب العربي من إمام اللغة العربية وشاعرها المفلق في ذلك العصر الشيخ الأديب فيض الحسن السهارنفوري شارح (الحماسة) أستاذ اللغة العربية في كلية العلوم الشرقية بلاهور" (١٧) ، وبعد تحليل المقتطف المذكور تحليلاً أديباً يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي : "قد يبدو في ظاهر الأمر أن الأسلوب السهل في بيان ترجمة شخصية من الشخصيات العلمية لا يتصف بصفة الإبداع ، مع أن السهولة في البيان سبب كبير من أسباب الإجادة والإحسان ، بحيث إنه يمكن به استعراض صفات المترجم له استعراضاً دقيقاً حسناً ، فلا تلتوي فيها حقيقة من الحقائق ولا تخفيها المبالغة والمجاز كما أن المعاني المتعلقة بالموضوع تلقي ضوءً أيضاً على أمور وأحوال أخرى تتصل بالشخصية اتصالاً .. ، هذا أسلوب مفيد ومغن في كتابة التراجم ، وقليلاً ما نجده في كتابات المتأخرين" (١٨) .

وبصفته عالماً خبيراً باللغة العربية وآدابها كان العلامة الندوي يقرض الشعر أحياناً بمناسبات مختلفة ويعبر شعره تعبيراً صادقاً وتمتاز بجس قوي ، ففاضت قريحته الشعرية في وصف

(١٧) مقدمة الإمعان للفراهي ، ص/١٥ — ١٦ ، نقلاً عن السيد سليمان الندوي ، أمير علماء الهند في صعره وشيخ الندويين ص/١٨١ — ١٨٢ .

(١٨) ملحق الرائد للأدب الإسلامي ص/٣٢ نقلاً عن السيد سليمان الندةي ، أمير علماء الهند في عصره وشيخ الندويين ص/١٨٣ — ١٨٤ .

الطبيعة وقال في وصف الشمس وهي كانت مائلة إلى الغروب ومنها .

كأنما الشفق في الأفق ... خمر معتقة شجت لمغتبق

خمر لعتقها في أعلى همالية ... شجت بماء غمام هامر غدق

كف الطبيعة تسقي الناس أكؤسها ... ويل لمن هذه الصهباء لم يذق

تحسو القلوب حمياها إذا نظرت ... إلى السماء بأقداح من الحدق

والطير تشربها حين تروح إلى ... أوكارها صافرات السجع في حلق

والريح سائرة في روضة أنف ... تهدي السرور إلى حوبك منتشق

دنّ من القهوة الصهباء في الأفق ... والكأس تطفو به لا الشمس في الشفق

بل إنه برقع قان له شية ... والشمس وجه حبيب بالحجاب يقى

بل إنما الشمس للصواغ بوتقة ... قد ذاب عسجدها وانثج في طرق

بل إنما الشمس من أعمارنا قتلت ... يوماً فسال دم جار من العنق

فذلك الشفق المحمر من دمه ... وقبره ليله المستور بالغسق

وفي الأبيات التالية يظهر العلامة سيد سليمان الندوي أمامنا كحكيم وناصح هو يقول :

هب أنني سلطان ... هارون أو ساسان

خضعت ملوك الدهر لي ... كسراه والخاقان

فالسود تحت أوامري ... والحمر لي قد دانوا

ولي الزمان مساعد ... لي الأمر والإيوان

ربض ينافي الفرقدين ... وبينه بستان
أجره من عسجد ... بنيت به الجدران

ويضيف قائلا :

وطناقس ونمارق ... غلبت بها الأثمان
وأرائك ذهبية ... فقدت لها الأقران
ويبيت له رشأتخا ... لف جنسه الغزلان
في عينها سحر وفي ... أصداغها ثعبان
حسناء آنسة الحديث ... كلامها قرآن
بيضاء سحنتها ... وأسود فرعها قنوان
فإذا الصباح لنا بدا ... نعقت به الغربان
فتقلبت أحوالنا ... حالت بها الأزمان
أتت الحوادث بغتة ... وتهدم البنيان
أين الأسرة والمسر ... ة والدمى والشان
فالدهر أفسد مابنا ... تشتت الخلان
وأبادهم حدث الزمان ... كأنهم ما كانوا
فتحيرت نفسي وقا ... لت غرني الحدثان
أأرى أنا في النوم هذا ... أم أنا يقظان
فسمعت هتفاً من منا ... د أيها الحيوان
إن السرور تخيلْ ... يتخيل الإنسان

ومن رباعياته الأبيات التالية المشهورة :

لا يعرف الفضل بين الناس في الرتب
وإن علا بعضهم بالمال والنسب
حتى الشدائد تبلوهم وتعجمهم
فالنار تفرق بين العود والخشب
إن الأنام نيام عيشهم طيف
وكل ما هم رأوا في نومهم كيف
ليست حقيقة هذا الدهر إلا (لا)
فلا ربيع ولا برد ولا صيف
قد كنت في الدهر قبل الأمس ذا ولدا
وأمس صرت فتى ، زهر الشباب بدا

الفقه الإسلامي :

أقضية الطلاق من محاكم البلدان غير المسلمة

بقلم : الأستاذ خالد سيف الله الرحماني
(الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي)
تعريب : الأستاذ محمد أعظم الندوي

من أبرز قضايا الجاليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية هو تكييف شرعي لمقررات محاكمها في حقهم ، ولا بد للنظر بتمعن في هذه القضية من ملاحظة نقاط تالية :

(١) هل يجوز أن يكون غير المسلم قاضياً للقضاء في منازعات المسلمين ؟

(٢) ما هو تكييف شرعي لأقضية قاض مسلم ولّي القضاء من حكومة غير مسلمة ؟

(٣) هل يجوز أن يكون غير المسلم حكماً بين خصمين مسلمين ؟

(٤) هل يجوز أن يكون غير المسلم وكيلاً عن المسلمين في شؤون ذات طابع ديني ؟

(٥) هل يمكن شرعاً أن يكون غير المسلم قاضياً في بعض شؤونهم دون بعض .

قاض غير مسلم :

(١) كل إنسان يستحق التصرف في شؤونه الخاصة بالأساس ، ليس لأحد أن يتدخل في خويصة أمره ، ولذا وجب التراضي من الجانبين في العقود والفسوخ ، فيما عدا تلك الحالة التي جعلت الشريعة فيها خيار فسخ العقد لأحد الفريقين ؛ أما إذا ما فقد الواحد صلاحية البتّ في أموره مُنع أن يتصرف بنفسه ؛ نحو غير للحتلم وللجنون والسفيه ، وأذن للسفيه عند الإمام أبي حنيفة بالتصرف بعد بلوغه الخامسة والعشرين من عمره ، لكنه عند

الجمهور يعتبر سليب الخيار حتى ينضج عقله ، وتزول عنه صفة السفاهة والخطل ، فلا يعتبر عقده ولا فسخه ، وربما تستحق الحكومة أن تسلب خيارات بعض الناس لأجل مصالح عامة ، نحو المفتي الماجن والطبيب الجاهل ، فاختيار المفتي الماجن يسلب أحياناً لأن تصرفه يضر الناس من ناحية شرعية ، كما يسلب اختيار الطبيب الجاهل ؛ لأن تصرفه يضر صحة الناس وحياتهم .

وإذا كان هناك شخص لا يقدر على التصرف ، أو يقدر ولكنه يسيء استعماله فتنقل الشريعة حق تصرفه إلى الآخرين لأجل الحفاظ على مصالح الأفراد ومنافع المجتمع ، وهذا ما يسمى في المصطلح الفقهي "الولاية" فقد عرّفت الولاية هكذا :

"والولاية تنفيذ القول على الغير" ، (الدر المختار : ١٩١/٢ ، انظر كذلك : كتاب التعريفات : ٢٨٢) .

والولاية تنقسم إلى قسمين رئيسين : ولاية خاصة ، وولاية عامة .

أما الولاية الخاصة فهي ما يستحقه شخص للتصرف في رقبة شخص آخر أو ممتلكاته ، نحو ولاية الوالد على أولاده ، وولاية الجد أو أقرب الناس إليهم نسباً عند عدم وجود الوالد .

أما الولاية العامة فهي ما يستحقه شخص على عامة المسلمين وسكان البلاد بوصفه مسؤلاً عن الرعايا ، نحو ولاية الأمير والقاضي ، وبناء على هذه الولاية العامة وجب على المسلمين اتباع أحكام الأمير ، ووجب نفاذ أقضية القاضي في حق الخصوم .

والأصل في الولاية أنها لا تثبت للكافر على المسلمين ، كما قال الله تعالى :

﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ .

وقال :

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ (التوبة الآية/٧١) .

ومن هنا انعقد إجماع الأمة على أن الأولاد إذا كانوا مسلمين ، والوالد كافراً ، فلا تكون له الولاية عليهم يقول العلامة الكاساني :

"لا ولاية للكافر على المسلم ؛ لأنه لا ميراث بينهما" ، (بدائع الصنائع : ٥٠٠/٢) .

ويقول العلامة ابن قدامة في نفس المسألة :

"فلا يثبت لكافر ولاية على مسلم ، وهو قول عامة أهل العلم أيضاً ، قال ابن المنذر : أجمع عامة من نحفظ عنه من أهل العلم على هذا" ، (المغني : ٣٦٧/٩) .

وتثبت للقاضي كذلك ولاية عامة على المسلمين ، وبها يستطيع أن يفسخ النكاح ؛ لأن الزوج في حق زوجته ملزم بأحد أمرين ، إما أن يمسك بعصمتها مع أداء كافة حقوقها ، وإما أن يودعها على أحسن طريق : **﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾** (البقرة الآية/٢٢٩) ، إذا كان الزوج لا يختار أحد هذين ، أي لا يمسك بمعروف ولا يسرح بإحسان ، فيعد ذلك ظلماً وجناية على النساء وإضراراً بهن ، ودفع الضرر واجب القاضي ، فيفرق بينهما عن الرجل بحكم الولاية العامة التي كانت ثابتة له من ذي قبل ، ولما أن غير المسلم لا تثبت له الولاية على المسلمين لا يصير قاضياً على المسلمين باتفاق الفقهاء تقريباً .

يقول عيسى بن عثمان الغزي وهو من الفقهاء الحنفية :

"فلا تصح ولاية الكافر في ذلك ؛ لأن القضاء ولاية ، ولا ولاية لكافر على مسلم في أدنى الولايات ، فكيف بولاية القضاء التي أعلى الولايات بمقتضى تطبيق شرع الله وتنفيذ أحكامه" ، (أدب القضاء للغزي : ١٥) .

ويقول العلامة ابن عابدين الشامي :

"وبه علم أن تقليد الكافر صحيح ، وإن لم يصح قضاؤه على المسلم حال كفره" ، (رد المحتار : ٢٤/٨) .

وبهذا الرأي أخذ الفقهاء المالكية : لأن الشهادة أدنى درجة من القضاء ، وصرح المالكية بأن شهادة اليهود والنصارى لا تعتبر في شؤون المسلمين :

"ولا تجوز شهادة اليهودي ولا النصراني فيما بين المسلمين حتى يسلموا" ، (المدونة الكبرى : ٨١/٤) .

وبه يقول الشافعية :

"فلا يجوز أن يكون كافراً ولا فاسقاً ، فإن تولى القضاء وهو عدل ثم فسق ... بطلت ولايته" ، (البيان : ٢٠/١٢ ، ط : دار المنهاج) .

ويقول العلامة ابن قدامة ترجمان الفقه الحنبلي :

"ولا يولى القضاء حتى يكون بالغاً مسلماً حراً عدلاً" ، (المغني : ١٢/١٤) .

فالحاصل أن الفقهاء يتفقون على أن غير المسلم لا يصح تقليده القضاء على المسلمين ، ومعنى هذا أن قضاء القاضي غير المسلم لا يعتبر في حق المسلمين .

قاض مسلم ولّي القضاء من حكومة غير مسلمة :

(٢) وإذا ولّي مسلم منصب القضاء لتسويه خلافات المسلمين من حكومة غير مسلمة فهل ينفذ قضاؤه أم لا ؟

— توجد في هذا الصدد إيضاحات الفقهاء بأن قضاء قاض مسلم ولي القضاء من حكومة غير مسلمة يعتبر في حق المسلمين ؛ يقول العلامة علاء الدين الحصكفي :

"ويجوز تقلد القضاء من السلطان العادل والجائر ولو كافراً (الدرّ المختار مع الرد : ٤٣/٨) قوله : (ولو كافراً) في التاتارخانية : الإسلام ليس بشرط فيه : في السلطان الذي يقلد" ، (رد

المختار : ٤٣/٨) .

ويقول ابن القاضي سماوه :

"وكل مصر فيه وال مسلم من جهة الكفار تجوز فيه إقامة الجمعة والأعياد ، وأخذ الخراج وتقليد القضاء وتزويج الأيامي لاستيلاء المسلم عليهم ، وأما طاعة الكفرة فهي موادعة ومخادعة" ، (جامع الفصولين : ١٤/١ ، ط : مكتبة كراتشي) .

وهذه الإيضاحات توجد في مؤلفات الفقهاء الحنفية أكثر من غيرهم ؛ ولكن ضوابط الفقهاء الآخرين تدل على أو وجهات أنظارهم لا تختلف عن الحنفية .

والخلاصة أن أقضية القاضي أو المأمور القضائي من حكومة غير مسلمة موثوق بها في حق المسلمين .

حكم غير مسلم :

(٣) هل يجوز أن يكون غير المسلم حكماً بين المسلمين ؟ — انطلاقاً من وجهة نظر الفقهاء لا يكون حكماً إلا من يكون أهلاً لولاية القضاء ؛ فقد جاء في الموسوعة الفقهية :

"أن يكون أهلاً لولاية القضاء ، وعلى ذلك اتفاق المذاهب الأربعة ، على خلاف فيما بينهم في تحديد عناصر تلك الأهلية" ، (الموسوعة الفقهية : ٢٣٧/١٨) .

وأجمع الفقهاء على أنه لا يتأهل لمنصب القضاء إلا مسلم ، وغير المسلم لا يتأهل لذلك ، (انظر : الموسوعة الفقهية : ٢٩١/٣٢ — ٢٩٣ ، أهلية القضاء) .

وجاء ذلك صراحة في مسألة التحكيم أيضاً ، يقول العلامة ظهير الدين المرغيناني :

"ولا يجوز تحكيم الكافر .. لانعدام أهلية القضاء اعتباراً بأهلية الشهادة" ، (الهداية : ١٥١/٣ ، وانظر كذلك : فتح القدير : ٩٦/٧ ، باب التحكيم ، رد المختار : ٢٤/٨ ، كتاب القضاء) .

ويقول العلامة داماد الآفندي :

"فلو حكماً عبداً أو صبياً أو ذمياً .. لم يصح" ، (مجمع الأنهار : ١٧٣/١) .

كما صرح بذلك العلامة الدسوقي المالكي :

"وجاز .. تحكيم رجل غير خصم .. وغير جاهل وكافر .. فإذا حكماً خصماً أو جاهلاً أو كافراً لم ينفذ حكمه" ، (حاشية الدسوقي : ١٢/٦ — ١٣) .

كأن الحكم يكون له ولاية على الدين حكموه فيما بينهم ، وغير المسلم ليست له ولاية على المسلمين ، فلا يكون حكماً لحسم منازعات المسلمين طبقاً لوجهة نظر الفقهاء .

توكيل غير المسلمين بالطلاق :

(٤) أما توكيل غير المسلمين في مسألة الطلاق ، فتوجد عند الفقهاء الحنفية تصريح بأنه لا يشترط في الوكيل إلا العقل ، وصرح العلامة الكاساني بأنه إذا وكل شخص ثم ارتد ، لا ينعزل عن وكالته رغم ارتداده :

"وأما الذي يرجع إلى الوكيل فهو أن يكون عاقلاً فلا تصح وكالة للجنون والصبي الذي لا يعقل .. وكذا ردة الوكيل لا تمنع صحة الوكالة فتجوز وكالة المرتد" ، (بدائع الصنائع : ١٦/٥) .

وقال وهو يتحدث عن مجالات توكيله :

"ويجوز التوكيل بالصلح والإبراء ، ويجوز بالطلاق والعتاق والإجازة والاستئجار إلخ" ، (بدائع الصنائع : ٢٠/٥) .

وأما توكيل غير المسلم في تطليق امرأة مسلمة ، فاختلف الفقهاء الشافعية في ذلك على رأيين ؛ لكن الأرجح أنه يجوز عندهم ، يقول الإمام النووي :

"فإن وكله في طلاق مسلمة ، فوجهان ؛ لأنه لا يملك طلاق مسلمة ؛ لكن يملك طلاقاً في الجملة" ، (روضة الطالبين وعمدة المفتين ، كتاب الوكالة : ٣٠٠/٤) .

وكذا قال العلامة الشربيني :

"توكيل المسلم كافراً في طلاق المسلمة ، وقد يتصور وقوع الطلاق كافر على مسلمة بأن تسلم أولاً ويتخلف ثم يطلقها في العدة ثم يسلم قبل انقضائها ، فإن طلاقه واقع عليها" ، (مغني للحتاج : ٢١٩/٢ ، كتاب الوكالة) .

وهذا هو رأي الفقهاء الحنابلة بأن توكيل غير المسلم سائغ مباح :

"صح أن يوكل فيه رجلاً كان أو امرأة حراً أو عبداً مسلماً أو كافراً" ، (الشرح الكبير مع الإنصاف : ٤٤/٣) .

إلا أنهم اشترطوا في ذلك بأن الشيء الذي يوكل فيه إذا قام به الوكيل لنفسه صح تصرفه فيه ، كما تجوز النيابة فيه شرعاً :

"وكل من صح تصرفه في شيء بنفسه وهما تدخله النيابة صح أن يوكل فيه رجلاً كان أو امرأة ، حراً كان أو عبداً ، مسلماً كان أو كافراً .. لا يصح أن يوكل فيه كالمرأة في عقد النكاح وقبوله والكافر في تزويج مسلمة" ، (المغني : ١٩٧/٧ — ١٩٨) .

فلو قبل هذا التفسير الذي مضى آنفاً عن العلامة الشربيني ، وذلك إمكان وقوع طلاق الكافر على المسلمات من النساء فيستقر رأي الحنابلة كذلك على أن توكيل غير المسلم في الطلاق جائز ، أما المالكية فإنهم يمنعون توكيل غير المسلم في الطلاق :

"ومنع توكيل كافر وهو أعم من الذمي" ، (الشرح الصغير : ٥١١/٣) .

والحاصل أنه يجوز توكيل غير المسلم بإيقاع الطلاق على امرأة مسلمة .

المعاملات التي يعتبر فيها قضاء القاضي غير المسلم والتي لا يعتبر فيها قضاؤه :

(٥) وإذا استعرضنا مدى صلاحية أقضية ومقررات محاكم البلدان غير المسلمة بدا لنا أنه يمكن حصرها هنا في قسمين :

أ) المعاملات التي حسبها وجود سبب شرعي فيها ، ولا يجب فيها قضاء القاضي ، لو قضت في مثل هذه المعاملات محاكم البلدان غير المسلمة استناداً إلى مستندات موثوق بها شرعاً تكون مقررتها جديرة بالنفاذ ، نحو حق الوراثة في التركة فإنه ثبت فور موت المورث ، وقامت للحكمة فقط بتقسيمها وفق التوجيهات الشرعية ، أو ملكية المشتري ثبتت في المبيع بمجرد عقد البيع ، ولكن البائع كان يمتنع من التخلية بين المبيع والمشتري ، فقضت للحكمة أن يسلمه البائع إلى المشتري ، فحقوق الورثة في المسألة الأولى ، وحقوق المشتري في الثانية كانت ثابتة من قبل ، وقضاء القاضي لم يثبت هذه الحقوق ابتداءاً بل أظهر ما كان ثابتاً من قبل ، فتعتبر أقضية المحاكم غير المسلمة في مثل هذه المعاملات .

ب) وأما القسم الثاني من المعاملات فهي التي لا بد فيها من قضاء القاضي ، ولا يكفي وجود سبب شرعي فيها ، نحو فسخ النكاح ، فلا يكتفي بقضاء قاض غير مسلم في مثل هذه المرافعات .

خلاصة البحث :

وصل كاتب هذه السطور في ضوء هذه الإيضاحات إلى ما يأتي :

١- وإذا احتكم رجل مسلم إلى المحكمة وقال أو كتب : أريد إيقاع الطلاق من المحكمة ، فهذا بمثابة توكيله للمحكمة في الطلاق ، ويجوز توكيل غير المسلم ، فيقع الطلاق في هذه الصورة .

٢- وإذا رفعت المرأة قضية الطلاق إلى المحكمة ، وقضت به المحكمة ، ثم استدعي الزوج إلى المحكمة وأخذ منه التوقيع على

محضر القضاء وقع الطلاق ؛ لأن هذا التوقيع يكون بمثابة التوقيع على ورقة الطلاق من حيث الحكم .

٣- وإذا رفعت المرأة دعوى الطلاق ، وكتب الزوج في بيانه الكتابي أن للمحكمة مسموحة بقبول دعواها ، فيعد ذلك بمنزلة التوكيل بالطلاق ، ويعتبر قضاء المحكمة بصدد الطلاق .

٤- وإن المرأة طالبت من المحكمة بالطلاق ، وقال الزوج للمحكمة رداً عليها : للمحكمة أن تفعل ما تشاء ، وأنا أقبل قضاءها ، فيتعبر هذا كذلك توكيلاً بالطلاق بحكم "السؤال معاد في الجواب" ، ويعتبر تطليق المحكمة إياها .

٥- وإذا رفعت المرأة الطلاق إلى المحكمة ، والزوج لم يجب بشيء ، وقضى بالطلاق لإعراض الزوج عن رفع الإلزام ، أو أنكر الزوج من التطليق ، أوقعت المحكمة الطلاق على الرغم من ذلك ، فلا يعتبر تطليق المحكمة شرعاً في هذه الصورة ؛ لأن غير المسلم لا يجوز أن يكون قاضياً ، والقاضي هو الذي يتولى فسخ النكاح .

٦- إذا وقع الشقاق بين الزوجين ، وذهب كلاهما إلى المحكمة وطلباها حسم خلافهما ، وقضت للحكمة بعد سماع خصومتهما بالطلاق ، ما وقع الطلاق ؛ لأن تحكيم غير المسلم لا يصح ، إلا أن الزوج إذا قال بعد قضاء المحكمة ، قبلت هذا القضاء ، فيقع الطلاق الآن ؛ لأن فضوليا إذا قال لأحد ، أوقعت الطلاق على زوجتك من قبلك ، وقال الزوج : أجزته ، وقع الطلاق .

مقترحات بهذا الخصوص :

إننا نقدم كخطط أساسية بهذا الخصوص لمسلمي البلدان غير المسلمة ثلاث نقاط مهمة :

١- ينبغي للمسلمين أن يطالبوا الحكومة أن تعين لهم قاضياً مسلماً يقضي في مرافعات تتصل بالقضايا الدستورية ، لكي

يتمكن المسلمون من أن يعملوا بدينهم بحرية ؛ فإن الفقهاء صرحوا بأن الوالي المسلم المولّى من قبل حكومة غير المسلمة يسمح له بأن يفضّ منازعات دينية للمسلمين :

"وكل مصر فيه وال مسلم من جهة الكافر تجوز فيه إقامة الجمعة والأعياد وتقليد القضاء وتزويج الأيامي" ، (جامع الفصولين : ١٤/١) .

فيجرى هذا النظام في موريشيوس اليوم ، كما كان هذا النظام سائداً في بهوبال (الهند) من الزمن القديم ، وقد قام بهذه المحاولة كثير من العلماء قبل استقلال الهند وبعده ، ولكنها لم تنجح بعد .

٢- وحيث لم يتيسر هذا يجب على المسلمين بأنفسهم أن يختاروا من بينهم أميراً يقلّد لهم القضاء واحداً ، وإذا لم يتفق الناس على أمير ينبغي أن يتفقوا على قاض يقوم بتسوية المنازعات بينهم ، يقول العلامة كمال الدين ابن الهمام (م : ٨٦٨هـ) .

"وإذا لم يكن سلطان ولا من يجوز التقلد منه كما هو في بعض بلاد المسلمين غلب عليهم الكفار كقرطبة في بلاد المغرب الآن .. يجب عليهم أن يتفقوا على واحد منهم يجعلونه والياً فيولى قاضياً أو يكون هو الذي يقضى بينهم" ، (فتح القدير : ٣٦٥/٢) .

ويوجد هذا الإيضاح عند الحنفية أكثر من غيرهم نسبياً ، فقد ذكر ذلك العلامة محمود بن إسرائيل في "جامع الفصولين" (١٤/١ ، ط : كراتشي) والعلامة ابن بزاز الكردري في "الفتاوى البزازية" (على هامش الهندية ، كتاب السير: ٣١١/٦) والعلامة ابن نجيم المصري في "البحر الرائق" (٢٩٨/٦) والعلامة الطحطاوي في "حاشية الدر المختار" (باب الجمعة :٢٣٩/١) والعلامة الشامي في "رد المحتار" (كتاب القضاء : ٣٠٨/٤) بشيء من الإيضاح والتفصيل ،

وإن إقامة مثل هذا النظام لا يساعد في إيجاد حلول لقضايا المسلمين الشرعية فحسب ، وإنما يسهل توحيد كلمة المسلمين وجمع شملهم أيضاً .

٣- ينبغي للمسلمين في البلدان غير المسلمة أن يرتبوا سجلات النكاح ، وتحتفظ بها منظمة أو هيئة اجتماعية أو الإمارة الشرعية إذا كان نظامها قائماً هناك ، ويدرج في هذه السجلات بند خاص لتفويض الطلاق ، كما ذكر الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله في كتابه "الحيلة الناجزة" ، و اقترحته ندوة "مجمع الفقه الإسلامي بالهند" المنعقدة في علي كراه لمعالجة قضايا المسلمين الاجتماعية ، ومعلوم لدى أهل العلم والفقه أن تفويض الطلاق ممكن حتى قبل النكاح عند الحنفية والمالكية ، وأما بعد النكاح فاتفقت عليه كلمة جمهور الفقهاء تقريباً .

أو يدرج في سجلات النكاح بند للتحكيم ، ويعني ذلك أن يحكّم العاقدان دار القضاء أو مجلس القرية الشرعي أن له حقاً ثابتاً لفصل جميع المنازعات المتعلقة بالمسائل الزواجية التي تنشب بين الزوج ، ويثبت هكذا طابع قانوني لدور القضاء في المرافعات المتعلقة بالقضايا الزواجية خاصة .

ولا سيما البلدان التي لا يعتبر فيها النكاح إلا إذا كان مسجلاً ، ولا يفرض الحظر فيها على الرجل والمرأة إذا كانا يعيشان سويّا بالتراضي بينهما ، فيعقدان نكاحهما بدون اللجوء إلى للحكمة ، وهما زوجان في نظر الإسلام ولكنهما ليسا زوجين في نظر القانون ، فيمكن لأمثال هؤلاء أن يستفيدوا من هذا التعاقد لتفويض الطلاق أو التحكيم .

هذا ما عندي ، والله أعلم بالصواب ، وعلمه أتم وأحكم .

****

صور وأوضاع :

جريمة جديدة بعد جرائم عديدة ضد الإنسانية

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

أضافت إسرائيل إلى سجلها الإجرامي الأسود جريمة إنسانية ، ولا يستغرب ذلك ، فقد استمرت مثل هذه الجرائم منذ إنشاء هذا الكيان غير المشروع في أراضي العرب المغتصبة بدعم الدول الاستعمارية ، وعلى رأسها بريطانيا التي كانت تحكم المنطقة بحكم الانتداب ، فغرست هذه الشجرة قبل خروجها ، ثم واصلت سقيها وتقويتها بتعاون الدول الأوربية الأخرى تحت مخطط مدروس .

وقصة هذه الجرائم طويلة ، علاوة على الحروب والاعتداءات المسلحة على الدول العربية للجاورة ، وتشريد المواطنين العرب ، وإنشاء المستوطنات في أراضيهم ، وإجراءات تهويد القدس ، والاعتداءات على المسجد الأقصى ، والحفريات المستمرة التي تهدد سلامة المسجد ، والمذابح المتكررة التي ذهب ضحيتها اللاجئون الفلسطينيون في مخيماتهم كصبرا وشتيلا ، والعدوان على غزة ، ثم فرض الحصار عليها ، وهي جرائم معروفة ، ومخالفة هذا الكيان لقرارات الأمم المتحدة مستمرة .

كل ذلك يدخل في سجل إسرائيل ، وبدعم القوى الكبرى تنجو ، رغم الإدانة ، من العقوبات والإجراءات الرادعة ، بينما تواجه الدول الأخرى عقوبات شديدة على أدنى مخالفة لحقوق الإنسان ، أو معارضة لمصالح الدول الكبرى ، أو مخالفة لميثاق حقوق الإنسان للأمم المتحدة ، ويشهد بذلك ما تواجهه السودان وإيران وأفغانستان ، ودول أخرى من قرارات الإدانة والتهديدات بالتدخل العسكري .

لم تمض إلا أشهر على الهجوم على الزعيم الفلسطيني محمود المبحوح أحد أبرز قيادات حماس واغتياله في أحد فنادق

دبي في ١٩/يناير ٢٠١٠م ، ونسبة هذا الاغتيال إلى أستراليا ، والتي أدت إلى تدهور العلاقات بين إسرائيل وأستراليا ، وأثارت هذه الجريمة ضجة كبرى في العالم ، وقد استعمل المهاجمون (عددهم ١١ مهاجماً) جوازات مزورة بأسماء مواطني أستراليا ، فرنسا ، وألمانيا ، وبريطانيا ، وأيرلندا ، وأوضحت شرطة دبي أننا نستيقن مائة في المائة أن المهاجمين هم إسرائيليون لا غير ، ارتكبت إسرائيل جريمة أخرى بالهجوم على قافلة للخدمات الإنسانية في ٣١/مايو ٢٠١٠م وقد أدى هذا الاعتداء لأول مرة إلى عاصفة عالمية ضد إسرائيل وإدانتها حتى من أصدقائها .

لقد كان حصار غزة ومعاناة المواطنين الأبرياء يثير الضمير الإنساني من سائر الجهات ، وقد بذلت محاولات في السابق لخرق هذا الحصار ، وإيصال مساعدات للمنكوبين ، وفشلت هذه المحاولات في السابق لموقف إسرائيل المعاند ، وتعاون بعض الدول العربية للجاورة في إحباط هذه المحاولات .

أفادت الأنباء الأخيرة أن أسطولاً يسمى بأسطول الحرية يتكون مع تسع سفن إيرلندية يونانية وتركية تحمل ناشطين للخدمات الإنسانية ، محملة بالمواد الغذائية ومواد الإسعاف ، كان متوجهاً إلى قطاع غزة لكسر الحصار فتعرضت هذه السفن في المياه العميقة لهجوم الكومندوز الإسرائيليين الذي أدى إلى قتل عشرة على الأقل من الناشطين الدوليين الإنسانيين ، وإصابة عدد أكبر منهم ، أخذهم الكومندوز الإسرائيليون كرهائن ، ووصف هذا الهجوم بهجوم الفجر الدامي ، وقد أثارت هذه العملية الإجرامية سخطاً عالمياً ، فاستدعت أكثر من ١٢/دولة ، وفيها دول أوربية ، سفراء إسرائيل لإبلاغهم احتجاج هذه الدول على الإجراء غير الإنساني ، وقامت مظاهرات تنديد في سائر أنحاء العالم ، وعقد مجلس الأمن والناتو اجتماعاً طارئاً ، ووصفت تركيا هذا الهجوم أنه إرهاب دولي .

ولأول مرة في التاريخ أعرب الرئيس الأمريكي باراك أوباما عن أسفه على ما وصفه بإزهاق الأرواح وطالب بجمع

الحقائق في أسرع وقت طبقاً للصحف .

وقد قدمت إسرائيل كعادتها تأويلاً بأن إجراء الكومندوز كان دفاعاً عن النفس ، كما كانت تبرر سائر عملياتها الحربية ضد الفلسطينيين بأنها دفاع عن النفس ، أو عمليات انتقامية حتى الهجوم على مخيمات الفلسطينيين وقتل الأبرياء والأطفال كان دفاعاً عن النفس ، فقال رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو أن الناشطين الإنسانيين اعتدوا على القوات الإسرائيلية بالسكاكين وإطلاق النار فردت القوات الإسرائيلية بإطلاق النار دفاعاً عن النفس .

لكن وزير الدفاع الإسرائيلي باراك أسرع إلى تهنئة الكومندوز ، وشجعهم وشكرهم على هذه للجازفة ، وقال لا رحمة على الضعيف ، وقال جئت لأشكركم ، ولكن الضغط العالمي المتصاعد أجبر إسرائيل لأول مرة على تشكيل لجنة تحقيق وإطلاق سراح الرهائن من الناشطين رغم إصرار رئيس الوزراء الإسرائيلي على تبرير الحملة ، وتأكيده على أنه لن يسمح بأي محاولة لخرق الحصار ، واتهم العالم بالنفاق .

وقد لقي هذا الإجراء ضد العاملين للخدمات الإنسانية وكان فيهم ناشطون من الدول الأوربية أيضاً رد فعل عنيف عالمي لأول مرة ، فقد مرت مثل هذه الإجراءات في السابق بدون إثارة الضمير الإنساني ولذلك تجرأت إسرائيل على مثل هذه الإجراءات الوحشية .

اتخذت تركيا موقفاً صارماً ، فأعلنت إلغاء المناورات العسكرية المشتركة مع إسرائيل ، وأكدت أنها لن تقف مكتوفة الأيدي إزاء ما حصل ، وقد كان من السخط العالمي الذي ظهر لأول مرة أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو قطع زيارته لكندا وألغى زيارته إلى واشنطن ولقاءه المقرر مع الرئيس الأمريكي باراك أوباما .

لقد أتاحت هذه العملية الإجرامية ضد العاملين للخدمات الإنسانية التي أثارت سخطاً عالمياً فقد استدعت ١٢ دولة ، ومنها

٨ دولة أوربية سفراء إسرائيل لإبلاغهم الاحتجاج على هذه الجريمة ، وقطعت بعض الدول علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل وتفكر دول أخرى في اتخاذ هذا الإجراء ، وتستمر الاحتجاجات في العالم ، أتاحت هذه الجريمة فرصة لاتخاذ إجراء رادع لوضع حد للتصرفات العدوانية لإسرائيل وخرقها للقيم الإنسانية والخلقية المتواصلة ، فإذا كانت الدول العربية المجاورة غير قادرة على اتخاذ إجراء فإن الجريمة الإنسانية الأخيرة تستحق أن تدخل في حملة مكافحة الإرهاب التي تقوم بها الدول الأوربية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة ، فإن العملية قرصنة ترتكبها دولة وهي أخطر من قرصنة العصابات أو الفرق الإرهابية التي لا تربطها دولة ولا يسيطر عليها نظام ، ولا يتقيد مرتكبوها بأي قانون أو ميثاق ، ولا يخضعون لسلطة قانونية .

إن حصار شعب جريمة في ذاته ، ومن مسئولية المجتمع العالمي أن يقطع هذا الحصار ويعاقب مرتكبي هذه الجريمة الإنسانية .

إلى رحمة الله تعالى :

والدة الأستاذ محمد هارون الندوي الإندوري في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

في ليلة الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة عام ١٤٣١هـ ، المصادفة ليلة السادس من شهر يونيو عام ٢٠١٠م ، استأثرت رحمة الله تعالى بوالدة فضيلة الشيخ محمد هارون الندوي الإندوري ناظر مكتبة شبلي العامة بندوة العلماء ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة بنت أخت فضيلة الشيخ محمد معين الندوي رحمه الله تعالى ، نائب الأمين العام لندوة العلماء ، الذي كان له فضل علاقة مخلصة بسماحة العلامة السيد الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، وكان نائبه طوال أيام حياته ، وإن كان قد سبقه إلى الآخرة بعدة أعوام .

كانت الراحلة الكريمة من فضليات النساء في الحرم الداخلي لدار العلوم ندوة العلماء وكان زوجها الشيخ منظور أحمد مدرساً في دار العلوم لندوة العلماء قد توفي منذ مدة طويلة ، وكانت الراحلة الكريمة تعيش مع ولدها الشيخ محمد هارون الندوي الإندوري ، وكانت ذات ورع وصلاح ، تقوم بتربية أولادها على الصلاح والدين ، وتتمتع بأخلاق فاضلة وأعمال صالحة ، وكانت محببة لدى النساء الأخريات .

كانت تناهز ١٨٠ عاماً من عمرها ، عاشت طريحة الفراش إلى مدة لا بأس بها ، ولم يقصر ولدها العزيز في المعالجة والتداوي وتوفير الخدمة والراحة لها من كل نوع ، شكر الله سبحانه وتعالى ما قام به هو وأسرته نحو أداء خدمة التمريض ، وقد صُلي عليها في رحاب دار العلوم ، وتم تدفينها في مقابر المسلمين في منطقة دالي غنج ولولا أن سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي كان خارج لكهنؤ في رحلة دعوية ، لكان قد صلى عليها إلا أنه قام بتعزية الشيخ محمد هارون الندوي عبر الهاتف ، ثم عزاه بعد العودة من سفره ودعا للراحلة الكريمة بالرحمة والمغفرة .

غفر الله لها مغفرة شاملة ، وتغمدها بواسع رحمته ، وأكرمها بالنزل الكريم في جنات ونعيم ، وألهم أولادها وذويها بالصبر الجميل ، والدعاء لها من الغيب ، والله المستعان على المصاب .

الأستاذ مشير أحمد الوارق في ذمة الله تعالى

فجاءة جاء نبأ وفاة الأخ الأستاذ مشير أحمد أحد الوارقين في المكتب التعليمي لإدارة دار العلوم ندوة العلما — يوم ٢٩/من شهر جماى الأخيرة ١٤٣١هـ الموافق ١٣/من شهر يونيو ٢٠١٠م فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم موظفاً في قسم الوراقة منذ ١٣/عاماً ، وكان ذا شعور بالمسؤلية مكبا على عمله من غير تأخير أو تعطيل ، قليل الكلام كثير الانتاج ، كان قد ناهز السبعين من عمره .

رحمه الله رحمة واسعة وغفر له زلاته ، وأكرمه بالجنة والنعيم وألهم الجميع بجميل الصبر ، وجعله خير سلف لمن خلفه بمشيئة الله تعالى ، والله غفور رحيم .

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص.ب ٩٣ ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)
الفاكس: ٠٥٢٢-٢٧٨٧٧١٠

Al Baas-el-Islami
Nadwatul Ulama P.O. Box. 93
Lucknow- 226007 (U.P.) India
Mob:091-9839911470 - 9415546882
Fax : 0091-522-2741221, 274123

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمني على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة: البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥٥عاما بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها السادس والخمسين - والحمد لله - ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم: (AL-BAAS-EL-ISLAMAI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة" البعث الإسلامي

مكتب "البعث الإسلامي"، مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء، ص ب: ٩٣ لكناؤ – ٢٢٦٠٠٤(الهند

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الاسلامي"، مؤسسة الصحافة والنشر،

ندوة العلماء، ص ب: ٩٣ لكناؤ – ٢٢٦٠٠٧(الهند)